صور مرفوضة

احذرها أخي الداعية

مجـــدي الهـلالي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

بطاقة الفهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة

الهلالي، مجدي.

صور مرفوضة احذرها أخي الداعية/ تأليف/مجدي الهلالي ط١

القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١١

(٩٦ص)، ٢٤ سم تدمك: ٤-٨١٠-٤٤١ - ٩٧٧ -٩٧٨

١- الإسلام - دعوة

أ - العنوان ٢١٣

رقم الإيداع: ٢٠١١/١٩٥١

مركز السلام للتجهيز الفني

عبد الحميد عمر

٠١٠٦١١١١١٧

مؤسسة اقرأ

للنشر والتوزيع والترجمة

١٠ ش أحمد عمارة - بجوار حديقة الفسطاط

القاهرة ت: ٢٥٣٢٦٦١٠ محمول:٠١٠٥٢٢٤٢٠٧ - ٠١٢٦٣٤٤٠٤٣

E-mail:iqraakotob@yahoo.com

www.Iqraakotob.net

المقدمـــــة

الحمـد لله كـما ينبغـي لجـلال وجهـه وعظـيم سـلطانه، والصلاة والسلام على خير البرية -رسول الله محمـد- وعـلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه خـواطر تجـول في الـنفس وتتوجـه إلى كـل مـن حمـل لـواء الـدعوة، مبعثهـا الخوف من تأخر تحقيق الحلم الذي انتظرناه طويلاً.. حلم إقامة المشروع الإسلامي، وعودة مجد الإسلام من جديد.

خواطر أخاطب بها نفسي من خلال توجهي بالحديث إليك أخي الداعية.

ستجد فيها تذكرة بدورك العظيم الذي شرَّفك الله به عندما اختارك لأدائـه مـن بين ملايين البشر.

ستنبهك وتذكرك بحقيقة مهمة، وهي: أنه لا ينبغي لك أن تكون كبقيـة النـاس في الأحلام والطموحات الدنيوية؛ فأنت مُنتدَب لأداء مهمـة عظيمـة: مهمـة إيقـاظ الأمة وإقامة المشروع الإسلامي.

وهي كذلك تحمـل إليـك تحـذيرًا مـن صـور مرفوضـة إيـاك أن تقـع فيهـا، هـذه الصور من شأنها – إن وُجدت – أن تؤخر إقامة المشروع الإسلامي، بـل وسـتجعل الناس ينفضُّون من حولك، وتبعدك عن دائرة الرضا الإلهي.

وأخيرًا: ففي ثنايا تلك الخواطر ما يذكرك بمصادر القوة الروحية التي تعينك على أداء دورك العظيم.

نسأل الله ﷻ أن تصحبنا في هذه الصفحات رعايته وتوفيقه، وألا يحرمنا الأجر إن أصبنا، أو أخطأنا. ﴿**سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ [البقرة: ٣٢].

* * *

هذا هو قَدَرُك

تذكَّر – أخي الداعية – وضع أمتنا البئيس، وتذكر كذلك أنه كانت هناك خلافة إسلامية تتجمع تحت رايتها أمة الإسلام، وتذكر أن أعداءنا حاولوا مرارًا هدم تلك الخلافة وإسقاطها، وحاكوا لذلك المؤامرات، واشتروا الذمم، وحشدوا الجيوش، ولم يهدأ لهم بال حتى كان ما أرادوا، فسقطت الراية الإسلامية، وتفرقت الأمة فبات الإسلام غريبًا في داره.

احتُلت العقول بمفاهيم غريبة، وانحصر مفهوم الإسلام في أذهان الكثيرين من أبنائه على الشعائر التعبدية.

وفي خِضمِّ هذا الظلام ظهرت الحركة الإسلامية ومعها مشروعها العظيم الذي يهدف إلى عودة مجد الإسلام من جديد بل وأستاذية العالم من خلال التغيير الهادئ الذي يبدأ بصلاح الفرد فالبيت فالمجتمع فالحكومة فالأمة فالخلافة.. مشروع متدرج الخطوات كثير المراحل، مشروع ضخم يحتاج إلى جهد جبار وعمل متواصل بالليل والنهار.

شرف الاختيار:

أتدري أخي الداعية أن الله ﷻ هو الذي انتدبك لتكون أحد العاملين في المشروع العظيم لبناء الأمة وعودة مجدها السليب؟!

لقد أُخترت لمهمة جليلة.. مهمة إيقاظ الأمة وقيادتها إلى الله.. مهمة عظيمة وشرف كبير شرّفك الله به.

فماذا عساك أن تفعل تجاه هذا الفضل العظيم الذي تفضل به مولاك عليك؟!

﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

اربأ بنفسك:

من أهم المفاهيم التي ينبغي أن تستقر في ذهنك – أخي الداعية – أن تعلم بأن المشروع العظيم الذي انتُدبت للعمل فيه يحتم عليك أن تعطيه أولوية معتبرة في حياتك، وهذا من شأنه أن يجعل اهتماماتك وأحلامك وطموحاتك مختلفة عن الكثيرين ممن لا يرون الحياة إلا مضمارًا للسباق نحو تحصيل الشهوات باختلاف أنواعها.

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل.

هذا هو قَدَرُك:

هذا هو قَدَرُك أخي الداعية.. أن تشكِّل مع إخوانك العاملين للإسلام في كل مكان الحصن الحصين الذي يقف أمام الهجمة الشرسة التي تقودها الصهيونية العالمية وحلفاؤها ضد الإسلام.

تذكر ذلك جيدًا إذا ما دعتك نفسك للتهاون في القيام بعملك الدعوي أو القعود عنه.

الأمل في الله وحده:

أخي الداعية: إن الأمل في كشف الغمة التي أصابت أمتنا ينبغي أن يكون في الله وحده ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨]، فهو – سبحانه – القادر على نصرتنا ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، ومع هذه الحقيقة المؤكدة؛ تأتي كذلك حقيقة أنه ﷻ قد طالب عباده ببذل غاية الجهد في سبيله حتى يكونوا مؤهلين لتلقي نصره ﴿إِن تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ﴿وَلَوْ

﴿يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد:٤].

لابد من جهد عظيم يبذله المؤمنون حتى يتنزل من خلاله نصر الله.

الأيدي العاملة قليلة:

أتدري – أخي الحبيب – أن استكمال بناء مشروعنا العظيم -مرتبط بعد إذن الله وتوفيقه- بما تبذله فيه من جهد أنت وإخوانك العاملون معك وغيرهم ممن يساندونهم ويشدون من أزرهم؟!

أتدري أن تأخرك عن بذل الجهد يعني التأخر في الانتهاء من المشروع، وعدم تحقق الحلم الذي ننتظره منذ عشرات السنين؟!

أتدري أن الأيدي العاملة في المشروع قليلة، وأن حجم المطلوب أكبر بكثير من الإمكانات الموجودة؟!

أتدري أن النار قد شبت في ديارنا، والجراحات تملأ جسد أمتنا، بينما المشروع الصهيوني يمضي بقوة وسرعة أكبر بكثير مما كان يُتوقع له؟!

فماذا عساك أن تفعل؟!

ماذا عساك أن تفعل تجاه المصيبة التي حلت بنا؟!

ماذا عساك أن تفعل وقد تفضل الله عليك، وجعل رؤية الإصلاح واضحة أمامك، وانتدبك للعمل في المشروع الكبير لبناء مجد الأمة من جديد؟!

هل ستكون حياتك كبقية الناس، أم ستنهض بهذا العبء الثقيل، وتحمل الراية، وتشمر عن ساعديك لتقوم بالدور المنوط بك؟!

احذر الاستبدال:

أخي الداعية: أذكر نفسي- وأذكرك بأنه ليس بين الله وبين أحد من عباده نسب، وأن كرامة المرء عند ربه مرتبطة بمدى استقامته، وأن استمرار تلك الكرامة مرهون باستمرار الاستقامة. ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣].

معنى ذلك: أن اختيار الله لك، وتفضُّله عليك بالعمل في المشروع الإسلامي العظيم لعودة مجد الإسلام مرتبط بمدى ما ستبذله من جهد في سبيله ﴿**وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: ١٢٧]، فإن تقاعست وتوليت فاحذر الاستبدال ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾

[محمد: ٣٨].

فما أهون العباد على الله إذا ما عصوه وخالفوا أمره.

تأمل خطابه – سبحانه – للصحابة رضوان الله عليهم، الذين ضحوا وبذلوا الكثير في سبيل نصرة دين الله، عندما تباطأ بعضهم عن الخروج لغزوة تبوك بسبب الحر الشديد اللاهب، وبسبب قرب نضج الثمار.

تأمل معي ما قاله ﷻ لهم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ۞ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩].

فانتبه أخي، فما أيسر أن يأتي الله بقوم غيرنا يحبهم ويحبونه، ويبذلون غاية جهدهم في سبيل نصرته.

* * *

تذكّر هذه الحقائق

تذكر أخي الحبيب أن الأمور كلها بيد الله ﴿**لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ**﴾ [الروم: ٤].

وتذكر أن كل أمر من الأمور وكل فعل من الأفعال وكل قول من الأقوال مرده أولاً إلى الله لا إلى من تتوجه إليه من الخلق بقولك أو فعلك ﴿**وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ**﴾ [هود: ١٢٣].

فأنت لا تتعامل مباشرة مع من أمامك؛ بل بينك وبينهم الله.. بينك وبين زوجتك عندما تتحدث معها، بينك وبين إخوانك عندما تعمل معهم وتوجههم ويوجهونك، بينك وبين كل الدوائر المحيطة بك.

فقولك أو عملك يطلع عليه الله أولاً، ويرى ما في قلبك، وعلى قدر صدقك فيما تدعيه وإخلاصك له يكون المقابل منه سبحانه؛ فيفتح قلب من أمامك لك أو يغلقه، وييسر أمورك أو يعسرها ﴿**فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح: ١٨].

فالأمر كله مع الله ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الفتح: ١٠].

ولو اطلع الله على قلوبنا ورأى منا ما يحب فلا تسل عن النتائج المترتبة على ذلك.. قال ﷺ: «**إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبه. فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه. فيحبه أهل السماء**

ثم يوضع له القبول في الأرض»[١].

النصر والتمكين بيد الله:

إن التوفيق والتيسير وإنجاز الأمور وفتح القلوب، وكسب المواقف، والانتشار والنصر ـ والتمكين.. كل ذلك خزائنه عند الله ﷻ ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧]، وليس ذلك فحسب؛ بل إن كف بأس أعدائنا، ورد كيدهم في نحورهم، وقذف الرعب في قلوبهم، وابتعادهم عنا.. كل ذلك بيده وحده لا شريك له ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

معنى ذلك: أن أمر إتمام مشروع الأمة العظيم، وعودة مجد الإسلام من جديد، وارتفاع راية الخلافة مرة أخرى، بل وأستاذية العالم.. كل ذلك بيد الله القادر المقتدر ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

جهد البشر:

ومع حقيقة أن الأمر كله لله، والنصر بيده وحده، فإنه سبحانه وتعالى لن يمنحه لنا إلا إذا فعلنا ما يريده.

فهو يريد منا أن يكون رضاه وحده هو غايتنا ومقصدنا من أعمالنا، وأن نستعين به في قيامنا بها.

يريد منا تعلقًا تامًا به ويأسًا مطلقًا من كل شيء سواه.

يريد أن يرى منا صدقًا في التجرد إليه والتضحية من أجله، وبذل أقصى ما يمكننا بذله من جهد في سبيل نصرته.

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم (٥٥٨٠).

يريد منا أن نحبه أكثر مما نحب أزواجنا وأولادنا وأهلنا وأموالنا ووظائفنا وتجاراتنا.

يريد منا أن نكون صفًا واحدا متآخيًا متراصًا مترابطًا، أذلة على بعضنا البعض، أعزة على أعدائنا.

يريد منا ألا نعتز بشيء سواه، وأن يكون كل منا عند نفسه صغيرًا، وأن يرى أنه بدون الله لا قدر له ولا قيمة، ولا يساوي شيئًا.

يريد منا أن تكون قلوبنا له، وألا يكون فيها تعلق بما سواه من دنيا أو شهوات.

فإن فعلنا ذلك فما علينا إلا أن ننتظر تحقيق وعده الذي وعد به ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾ [النور: ٥٥].

وإن لم نفعل!

فلا نلومن إلا أنفسنا في تأخر تحقيق هدفنا العظيم ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾ [الشورى: ٣٠].

* * *

احذر هذه الصور

لئن كانت مفاتيح العزة والنُصرة والتمكين بيد الله؛ وهو سبحانه ينتظر منا أن نستفتح خزائنه عن طريق بذل غاية الجهد في تحقيق ما طلبه منا حتى يفتح لنا وينزل علينا نصرة المبين وتمكينه الذي يذهب غيظ قلوبنا، ويشفي صدرونا، ويرسم الابتسامة على شفاهنا وعلى شفاه كل المظلومين والمقهورين من أبناء أمتنا.

لذلك أقول لنفسي ولك أخي الداعية:

إياك ثم إياك أن تتقاعس عن القيام بدورك في خدمة دينك فتكون سببًا في تأخر تحقيق حلمنا جميعا.

إياك إياك من كل صورة مرفوضة يراها ربك منك تستدعى بها غضبه، وتُحرم الأمة بسببها نصره.

وتذكر أن ما حدث في غزوة أحد من هزيمة للمسلمين كانت بسبب قيام قلة قليلة من الجيش بمخالفة أمر الرسول ﷺ ﴿**أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٦٥].

علو المنزلة يستوجب شدة الانتباه:

وقبل البدء في عرض نماذج للصور المرفوضة التي ينبغي أن نبتعد عنها – أخي الداعية – أُذكر نفسي وأذكرك بأن منطلق حديثنا ليس في الحلال والحرام فقط، بل في علو المقام، وشرف المكانة، وزكاة الاختيار، بمعنى أن بعضًا مما سيُعرض من صور مرفوضة قد تقول عنها: إن فاعلها لا يأثم.

نعم، قد يكون كذلك، ولكن ليس هذا هو مقصد حديثنا؛ فأصحاب الدعوات

لهم وضع خاص، ولِمَ لا؟! وهم يقومون بأعظم مهمة، مهمة إيقاظ الأمة، وبث الروح فيها – بإذن الله – وقيادتها إلى الله – ﷻ – هذه المنزلة العالية تستوجب شدة الانتباه.

تأمل معي خطاب الله ﷻ إلى زوجات النبي ﷺ وما فيه من تذكير بعلو المقام وما يستدعيه هذا المقام من شدة الانتباه ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ**﴾ [الأحزاب: ٣٢].

إن الدعوات الصادقة لا تقوم إلا على أكتاف أصحاب العزائم لا أصحاب الرخص ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ [الأحزاب: ٢٣].

فالناس تنظر إليهم، وتتخذهم قدوة، فلو فرط الدعاة لكان مَن دونَهم أكثر تفريطًا، ولنا في قصة الإمام الممتحن أحمد بن حنبل العبرة في ذلك.

قال المروزي – أحد تلامذة الإمام أحمد – لأستاذه وهو في ساحة التعذيب: يا أستاذ، قال الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾. فقال أحمد: يا مروزي، اخرج، انظر أي شيء ترى. قال: فخرجت إلى رحبة دار الخلافة، فرأيت خلقًا من الناس لا يُحصي عددهم إلا الله، والصحف في أيديهم، والأقلام والمحابر في أذرعتهم. فقال: المروزي: أي شيء تعملون؟ قالوا: ننتظر ما يقول أحمد فنكتبه. فقال المروزي: مكانكم. فدخل إلى أحمد بن حنبل وهو قائم. فقال: لقد رأيت قومًا بأيديهم الصحف والأقلام ينتظرون ما تقول فيكتبون. فقال: يا مروزي، أضل هؤلاء كلهم؟ أقتل نفسي ولا أضل هؤلاء[1].

(١) محنة الإمام أحمد بن حنبل ص (١٥٣) للحافظ تقي الدين المقدسي/ دار هجر – مصر.

وخلاصة القول، وقبل أن نبدأ الحديث عن الصور المرفوضة التي ينبغي ألا يقع فيها الدعاة، علينا أن نتذكر أن وضع الدعاة يختلف عن وضع بقية الناس؛ فهم منتدبون لأداء مهمة عظيمة، عليهم أن يكونوا على مستواها، وأن ينتبهوا ويحذروا أثناء سيرهم وعملهم في بناء المشروع الإسلامي من الوقوع في أمور من شأنها أن تبعدهم عن دائرة الرضا الإلهي، ومن ثم تؤخر تحقيق الحلم الذي تنتظره الأمة جمعاء.

* * *

الصورة الأولى
جفاء العلاقة مع الله ﷻ

.. لكل واحد منا علاقات مع الآخرين.. هذه العلاقات تتفاوت ما بين القوة والضعف، فهناك من يحتل المرتبة الأولى، وهناك من يحتل المرتبة العاشرة، وهناك من يحتل المرتبة الخمسين.

ومما يلزم التنويه إليه أن هذه المراتب لا يتم ترتيبها بقرارات من الشخص، بل هي نتيجة ممارسات، ورصيد، وثقة، ومشاعر.

ولكل مرتبة مظاهر تميزها عن غيرها، فصاحب المرتبة الأولى له مكانه خاصة عند المرء تجعله يُسِرُّ له بأسراره، ويستشيره في خصوصياته. يفرح بقربة، ويشتاق إلى رؤيته، ويتحين أي فرصة للقائه، ويسعد بصحبته.

أما صاحب المرتبة الخامسة فالأمر يختلف.. نعم، هو يفرح برؤيته ويسعد بصحبته، ولكن ليس كالأول.

فإذا ما نظرنا لصاحب المرتبة العاشرة فالعلاقة أقل بكثير ممن سبقه.

فإذا ما سأل الواحد منا نفسه عن علاقته بربه، وأي مرتبه تحتل؟

فإننا سنفاجأ بأنها ليست في المراتب الأولى، وذلك من خلال رصد مظاهر هذه العلاقة.. فلا شوق إلى لقائه، ولا أنس بمناجاته، ولا سعادة بذكره.

وهذا نذير خطر أحذر نفس وإياك منه – أخي الداعية- وكيف لا ومن أهم الصفات التي ينبغي أن يحرص عليها الدعاة: قوة صلتهم بربهم، ومتانة علاقتهم به.. ألم يقل سبحانه عن الجيل الذي يريده لينصره ويؤيده ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن**

﴿يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]؟!

لابد من أن يصبح الله ﷻ الأحب إلينا والأقرب إلينا من كل من كل ما سواه، وأن تكون علاقتنا به أقوى وأشد وأمتن من علاقتنا بزوجاتنا وأولادنا وإخواننا.

ومن صور المعاملة الصحيحة وقوة العلاقة بالله ﷻ: دوام الاستعانة به، والتوكل عليه ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

ومن صورها: حب الخلوة به، والتلذذ بمناجاته، ودوام الإنابة إليه.. عن عطاء بن يسار قال: قال موسى عليه السلام: «**يا رب من أهلُك الذين هم أهلُك، الذين تظلهم في ظل عرشك**»؟

قال: «**هم البريئة أيديهم، الطاهرة قلوبهم، الذين يتحابون بجلالي، الذين إذا ذُكرت ذُكروا بي، وإذا ذُكروا ذُكرت بذكرهم، الذين يسبغون الوضوء عند المكاره، والذين ينيبون إلى ذكري كما تُنيب النسور إلى وكورها، ويَكْلَفون بحبي كما يَكْلَف الصبي بحب الناس، ويغضبون لمحارمي إذا استُحلت كما يغضب النمر إذا حَرِب**»[1].

ومن صور متانة علاقة العبد بربه: إخبات قلبه إليه، وانكساره له.

ومن مظاهرها: إخلاصه التام له؛ فهو يعمل العمل ابتغاء وجهه ونيل رضاه فلا يهمه رضا الناس عنه أو سخطهم عليه.

ومن مظاهرها كذلك: اتخاذ الله أنيسًا فيأنس دوما بقربه منه، ويستوحش من وجود الناس معه، بل إنه ينتظر اللحظة التي يخلو فيها بربه ليناجيه ويبث إليه أشواقه، ويشكو إليه ما وجده من صعوبات وإعراض، ويسأله حاجاته، ويشعر

(١) الرقة والبكاء لابن قدامة / ٤٦ وأورده الإمام أحمد في الزهد وابن القيم في روضة المحبين.

بالاطمئنان في جواره.

هذه المظاهر وغيرها تدل على متانة وقوة علاقة العبد بربه، فإن لم نحقق ذلك في أنفسنا، وضعفت صلتنا بربنا كانت الآثار الوخيمة في انتظارنا.

يضعف الإخلاص والتوكل على الله والثقة فيه.

يزداد التعلق بالناس والطمع فيما في أيديهم.

تزداد الشكوى من الفتور وضيق الصدر والشعور بالوحشة.

تقل البركة في الأعمال ويصبح أثر الجهد الكبير الذي يُبذل محدودًا.

فاحذر أخي الداعية من ذلك، فليس لنا إلا الله وليًا ونصيرًا وكافيًا ومعينًا ﴿**وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا**﴾ [النساء: ٤٥].

ولنعلم جميعًا أنه كلما ابتعدنا عن الله ابتعدنا عن تحقيق حلمنا ومشروعنا العظيم.

***

الصورة الثانية
هجر الطاعات

إن كانت غايتنا الحقيقية هي رضا الله ﷻ؛ فإن هذا معناه أن نسارع للقيام بكل ما أمرنا به من فرائض ونوافل.. تأمل معي هذا الحديث القدسي: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»(١).

فالله ﷻ يحب منا أن نؤدي الفرائض، وأن نكثر من النوافل لندخل في دائرة من يحبهم ويحميهم ويدافع عنهم ﴿**وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: ١٢٧].

وفي المقابل فعندما لا نؤدي الفرائض بالشكل الذي يرضي الله ﷻ، وعندما نهجر النوافل فنحن -بذلك- نعرض أنفسنا للخروج من دائرة المعية والكفاية الإلهية، ونصبح عُرضة للخذلان والهوان في أعين الناس.

من صور هجر الطاعات:

من صور هجر الطاعات وعدم القيام بها بالشكل المطلوب الذي يريده الله ﷻ ما يلي:

هجر المساجد والتأخر عن أداء الصلاة في أول وقتها:

(١) صحيح البخاري حديث رقم (٦٠٢١).

المساجد هي بيوتنا الحقيقية.. هكذا ينبغي أن تكون بالنسبة لنا، وكلما ابتعدنا عن المسجد ابتعدنا عن رحمات كثيرة نحن في أشد الحاجة إليها.. قال ﷺ: «**المسجد بيت كل تقي، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله، إلى الجنة**»(١).

لذلك أقول لنفسي وأقول لك –أخي الحبيب –:

إياك ثم إياك أن تسمع الأذان ثم تصلي في البيت وأنت تقدر على الذهاب للمسجد.

إياك أن تظن أن هناك أعمالاً أهم من الصلاة حين حلول وقتها.. تقول السيدة عائشة رضي الله عنها وهي تصف لنا رسول الله ﷺ حين يأتي عليه وقت الصلاة: «**كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه**»(٢).

أخي الداعية: ألست تبتغي رضا مولاك؟! فاعلم إذًا أن ما يرضيه هو أن تصلي الصلاة في أول وقتها بالمسجد ﴿**رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ**﴾ [النور: ٣٧].

هجر صلاة الفجر في المسجد:

ومن أخطر صور هجر الطاعات: هجر صلاة الفجر جماعة بالمسجد، إنها صورة لا تليق بنا أبدًا أخي الداعية.

نعم، قد تفوتنا الصلاة مرة كل فترة طويلة لعذر خارج عن إرادتنا، أما أن يكون ذلك هو الأصل فلا، ثُم لا.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط، والبزار، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٤).
(٢) أخرجه الأزدي في الضعفاء من حديث سويد بن غفلة.

أبلغك قوله ﷺ: «**من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله، فمن أخفر ذمة الله كبه الله في النار لوجهه**»؟![1].

فيا حسرة من ترك صلاة الفجر تفوته، ويا خوفه على يومه، وعلى دعوته، وعلى الأعمال التي يقوم بها، والتي قد تفتقر إلى التأييد والتوفيق الإلهي.

أخي:

هل يوجد ما يبرر عدم صلاة الفجر بالمسجد؟

فإن قلت: إنه السهر، فلا تسهر.. نم مبكرًا واترك متابعة الفضائيات ونشرات الأخبار.. فصلاة الفجر أهم من هذا كله.

هجر قيام الليل:

قيام الليل هو وقود الدعوة، فمن خلاله يتزود الأخ بزاد الإخلاص، ويجدد عهده مع الله وانتسابه إليه، ويستمد منه – سبحانه – القوة والطاقة التي تعينه على القيام بأعباء مهمته العظيمة.

إن قيام الليل هو أعظم دليل على حب العبد لربه وأنسه به، وفرحه بمناجاته، فإذا ما هجرناه، سقطت كل دعاوى الحب التي ندَّعيها، وفاتنا زاد ضخم لا يمكن تعويضه ومن ثَمَّ ابتعدنا أكثر وأكثر عن تحقيق حلم الأمة جمعاء بعودة مجدها من جديد.

أخي الداعية:

لا يوجد لأي منا عذر في عدم قيام الليل؛ فمهما كانت الأعباء والمشاغل فلن ترقى بحال من الأحوال إلى مشاغل رسول الله ﷺ الذي كان رئيس الدولة وقائد جيوشها.. يحل المشاكل، وينظر في القضايا، وينصح الناس ويعظهم، ومع ذلك لم

(١) حسن رواه ابن ماجه والطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٤٥٨)، وأخفر أي: نقض.

يترك قيام الليل ليلة واحدة، ولم يستثنه ربه من قيام الليل؛ بل قال له: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ [الشرح: ٧].

أي: إذا فرغت من الدعوة، فانصب للعبادة، وكذلك كان أصحابه ﷺ، لم يتركوا قيام الليل حتى في وقت الجهاد والقتال في سبيل الله.... انظر إلى ما جاء في خطاب سعد بن أبي وقاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – الذي يبشره فيه بفتح القادسية: «وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القاري وفلان وفلان، ورجال من المسلمين لا يعلمهم إلا الله، فإنه بهم عالم كانوا يدوون بالقرآن إذا جَنَّ عليهم الليل كدوي النحل، وهم أساد في النهار لا تشبههم الأسود[1].

هجر القرآن:

ومن أخطر صور هجر الطاعات: هجر القرآن.

ومن أشد صور هجر القرآن: هجر فهمه والتأثر به.. هجر معجزته الحقيقية التي تتمثل في بث الروح وتوليد الطاقة والدافع الذاتي للفرد ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

فالقرآن هو أهم مولِّد للإيمان ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢].

والقرآن يزيد الإيمان عندما يتم فهم آياته والتأثر بها، فإذا لم يجتهد قارئه في تحصيل الأسباب المؤدية إلى الفهم والتأثر، أي: حين يقرؤه وهو شارد الذهن لا يتفكر فيه، ولا يلتفت إلى معانيه وكنوزه ولا يعمل على الانفعال بآياته فلن يحقق القرآن مقصوده وأثره فيه ولو قرأه آلاف المرات.

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ٧/ ٥٠ – دار الفجر للتراث – مصر.

لذلك أُحِّذر نفسي وإياك أخي الداعية أن نكون كذلك:

إياك أن تهجر قراءة القرآن بتدبر وترتيل فتحرم نفسك من مَعِين عظيم للإيمان، ومصدر فذ لتوليد الطاقة الروحية، ووسيلة أكيدة تجعلك دائمًا في حالة من الانتباه واليقظة.

من وصايا العلماء للانتفاع بالقرآن:

يقول الإمام ابن تيمية: ولا يخفى على أولى الألباب أن المقصود بنزوله ابتاعه، والعمل بما فيه؛ إذ العاملون به هم الذين جُعلوا أهله، وأن المطلوب من تلاوته تدبره، وفهم معانيه، ولذلك أمر الله بترتيله والترسل فيه، ليتجلى أنوار البيان من مشارق تبصرته، ويتحلى بآثار الإيمان من حقائق تذكرته[1].

ويقول ابن القيم: التأمل في القرآن هو تحديق نظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله، وهو المقصود بإنزاله لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر[2]،قال الله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ**﴾ [ص: ٢٩].

ويوصي الإمام حسن البنا قارئ القرآن بوصايا تيسر له - بعون الله - الانتفاع بالقرآن، فيقول:

واجتهد أن تقرأ القرآن في الصلاة أو غيرها على مُكث وتمهل وخشوع وتذلل، وأن تقف على رؤوس الآيات وتعطي التلاوة حقها من التجويد والنغمات، من غير تكلف ولا تطريب، أو اشتغال بالألفاظ عن المعاني، مع رفع الصوت في التلاوة

(١) قاعدة في فضائل القرآن لابن تيمية ص ٥٤ – مكتبة الظلال – السعودية.
(٢) مدارج السالكين ١/ ٤٥١.

العادية أو الصلاة الجهرية؛ فإن ذلك يعين على الفهم، ويثير ما غاص من شآبيب الدمع، وما نفع القلب شيء أفضل من تلاوة في تدبر وخشوع[١].

هجر النوافل والسنن:

ومن صور هجر الطاعات: هجر النوافل والسنن المؤكدة منها والمستحبة كهجر أذكار الصباح والمساء، والاستغفار، والصلاة على الرسول ﷺ.

وكهجر التبكير لصلاة الجمعة واستخدام السواك.

وكهجر صوم التطوع وصلاة التوبة وسجود الشكر.

أخي الداعية:

ألم يقل الله ﷻ «.. **وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»؟!

معنى ذلك: أن النوافل لها دور عظيم في القرب من الله واستجلاب محبته ومن ثم ولايته وكفايته ونصرته.. وهذا هو ما نريده لأنفسنا ودعوتنا، فأي خسارة تلك التي نخسرها عندما نهجر النوافل!!

دفع شبهة:

قد يقول قائل: إن الحركة والدعوة بين الناس لهما دور كبير في زيادة الإيمان، ومن ثَمَّ يمكن أن يستغني بهما الداعية عن قيام الليل، والتأثر بالقرآن، وأداء النوافل وغير ذلك من الطاعات.

إن كان الأمر كذلك فلماذا كان حرصه ﷺ على قيام الليل حتى في السفر والمرض؟

(١) حسن البنا ومنهجه في التفسير / ١٠٠ – دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة.

ولماذا قال عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما -: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يُصلي بالليل**»[١].

ولماذا كان الصحابة يحرصون على أورادهم كما يحرصون على الجهاد في سبيل الله، فأصبحوا رهبانًا بالليل فرسانًا بالنهار، فلو جاز لأحد في وقت من الأوقات أن يترك الأوراد والطاعات بحجة العمل والحركة أو الإجهاد لكان وقت القتال والجهاد أولى بذلك.

بينما إذا ما نحن نظرنا إلى واقع الجيل الأول نجد أنهم لم يتركوا أورادهم التي هي حياة قلوبهم، وإن كانوا في أشد أوقاتهم وأصعب لحظاتهم.

جاءت هند – زوج أبي سفيان – زوجها صبيحة فتح مكة، فقالت له: أريد أن أبايع محمدا.

قال أبو سفيان: قد رأيتك تكفرين. قالت: أي والله. والله ما رأيت الله تعالى عُبد حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، والله إن باتوا إلا مصلين قيامًا وركوعًا وسجودًا.[٢]

أرأيت – أخي الحبيب – أنه مع التعب وعناء السفر فإن ذلك لم يصرف الصحابة عن قيام الليل؟

وهذا على بن أبي طالب ﷺ يخبر من معه بأنه يواظب على ذكر ما قبل النوم من تسبيح وحمد وتكبير منذ أن علَّمه له رسول الله ﷺ، فقيل له: ولا ليلة صَفِّين؟! (أي: حتى في ليلة صفين لم تتركه) فقال: ولا ليلة صفين[٣].

(١) صحيح البخاري حديث رقم (١٠٥٤).
(٢) رهبان الليل لسيد العفاني ١/ ٣١٠.
(٣) صحيح مسلم (٤٩٢٦).

وفي فتح أفريقية يصف عبد الله بن الزبير أحوال المقاتلين فيها فيقول: واستشهد الله جل جلاله رجالاً من المسلمين، فبتنا وباتوا، وللمسلمين دوي كدوي النحل، وبات المشركون في ملاهيهم وخمورهم، فلما أصبحنا زحف بعضنا إلى بعض، فأفرغ الله علينا صبره، وأنزل علينا نصره، ففتحناها من آخر الليل[١].

ولما هُزمت جنود هرقل أمام المسلمين: قال لهم: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار[٢].

وكذلك كان أصحاب الدعوات الصادقة.. لم يستغنوا بحركتهم وجهدهم عن أورادهم.

نعم.. إن الحركة لهذا الدين تزيد الإيمان ولكن شريطة أن تنطلق الحركة من قلب حي يقظ متعلق بالله، فيعود أثرها عليه بمزيد من الإيمان، أما إذا انطلقت من قلب غافل لاهٍ ساهٍ فإنها تؤدَّى بلا روح ومن ثمَّ لا يكون لها أي أثر يذكر في زيادة الإيمان؛ لذلك حذرنا رسول الله ﷺ من ذلك بقوله: «**مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه، مثل الفتيلة، تضيء الناس وتحرق نفسها**»[٣].

لا بديل أخي الداعية عن ملء الخزان حتى تتدفق المياه في الصنابير.

لا بديل عن أن نكون رهبانًا بالليل حتى نُحسن القيام بأعباء الدعوة بالنهار، كما وصى الله ﷻ نبيه ﷺ بذلك: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ۞ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً**﴾ [المزمل: ٦،٧].

وأخيرًا:

(١) كيف ننتفع بالقرآن الكريم. لأحمد البراء الأميري ص ١٠٧، نقلاً عن رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية لأبي بكر المالكي ١/ ١٦.
(٢) رهبان الليل ١/ ٣١١.
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي برزة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٣٧).

أقول لنفسي- ولك – أخي الداعية – لا خير في عمل يُلهي عن الصلاة، ولنعلم جميعًا بأن السجدة الحارة المصحوبة بالأنين والبكاء والتضرع لله ﷻ هل التي تندكُّ بها الحصون، وتهتزُّ لها العروش بعون الله.

* * *

الصورة الثالثة
أنا وأخواتها

من أخطر الصور التي ينبغي أن ننبذها جميعًا رؤية الفرد لنفسه بعين الاستعظام، واعتقاده أن له قدرًا عند الله بعمله، وأن عنده شيئًا ذاتيًا يفضل به غيره.

هذا الشعور من شأنه – عندما يتلبس به الشخص – أن يجعله دومًا يتحدث عن نفسه وعن إنجازاته.. كارهًا نقد الآخرين له، معظمًا دومًا من قدر أعماله، مقللاً من أعمال غيره، خاصة المتميزين منهم، كثير المباهاة بإنجازاته، مكثرًا من استخدام ألفاظ: أنا.. لي.. عندي... وتكمن خطورة هذه الصورة أنها قد تحول بين العبد وبين إخلاص عمله لله، فالإخلاص ليس فقط في التوجه، بل في الاستعانة كذلك؛ فينبغي للعبد أن يخلص توجهه لله فيما يقوم من الأعمال، وأن يستعين بالله في أدائه لها[1].

أما صاحب «أنا وأخواتها» فهو يستعين بنفسه وإمكاناته في القيام بالأعمال، ويظن أن عنده شيئًا ذاتيًا يقوم من خلاله بأداء هذه الأعمال، ومن ثَمَّ فهو يرى نفسه أفضل من يتكلم، وأفضل من يفاوض، وأفضل من يدعو ولِمَ لا؟! وقد عظمت نفسه في عينه وكبرت حتى صارت وكأنها صنم داخلي يعظمه ويقدسه ويستعين به

(١) حقيقة الاستعانة بالله ﷻ هي التعلق التام به سبحانه في تحقيق النفع أو دفع الضر، ولا يتنافى هذا مع الاستعانة بالبشر أو بالأشياء كأسباب يستخدمها المرء عند الحاجة مع اعتقاده الجازم في عدم وجود أي قدره ذاتية لديها تجلب النفع أو تدفع الضر.

في قيامه بأعماله، وهذا من أخطر أنواع الشرك الخفي الذي يبعد صاحبه عن التوفيق والكفاية الإلهية، بل يجعله في مظانّ غضب الله ومقته.. تأمل معي قوله تعالى: «**ما من رجل يتعاظم في نفسه ويختال في مشيته، إلا لقى الله تعالى وهو عليه غضبان**»(١).

ضرورة استصغار النفس:

كلما كبر قدر المرء عند نفسه صغر عند ربه؛ لذلك كان الإعجاب بالنفس من أخطر الصور التي يتحتم علينا أن نتحاشاها جميعًا، فالعبرة ليست فقط في القيام بالأعمال الصالحة وبذل الجهد والطاقة في طريق الدعوة، بل لابد أن يصاحب ذلك استصغار للنفس وللعمل، واليقين الراسخ أننا بالله لا بأنفسنا، وأنه لو لم يُعنا الله وييسر لنا الأسباب ما قمنا بالعمل، وهذا ما أكده أبو بكر الصديق لخالد بن الوليد ﷺ بعد انتصاراته المتتالية في العراق بقوله: «فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة، فأتمم يتمم الله لك، ولا يدخلنك عُجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تُدل بعمل فإن الله له المن وهو ولى الجزاء»(٢).

إن العُجب داء وبيل مهلك ينبغي أن نحذر منه وألا نحسن الظن بأنفسنا ونعتقد أننا في منأى عنه، فهذا الداء له مداخل عجيبة على النفس لا يكاد يسلم منها أحد.

ولقد كان سلفنا الصالح شديد الحذر من هذا الداء.. تقول السيدة عائشة: لبست مرة درعًا لي جديدة فجعلت أنظر إليها فأُعجبت بها، فقال أبو بكر: ما تنظرين؟ إن الله ليس بناظر إليك! قلت: ومم ذاك؟ قال: أما علمت أن العبد إذا دخله العجب بزينة الدنيا مقته الله ﷻ حتى يفارق تلك الزينة؟!

(١) صحيح الجامع الصغير ٥٧١١، والسلسلة الصحيحة (٥٤٣).
(٢) البداية والنهاية للحافظ لابن كثير ٦/ ٣٩٩.

قالت: فنزعته وتصدقت به.. فقال أبو بكر: عسى الله أن يكفر عنك[١].

لقد كانوا دائمًا يضعون أنفسهم في منزلة أقل بكثير مما هم عليه كما فعل أبو بكر الصديق ﷺ عندما صعد المنبر في أول خطبة له بعد توليه الخلافة وافتتح كلامه بقوله: لقد ولُيت عليكم ولست بخيركم.. مع أنه – بنص الأحاديث الصحيحة – خير مَن في الأمة بعد رسول الله ﷺ ولكنه استصغار النفس وهضم قدرها والخوف من مقت الله وغضبه.

بل إن هذا ما كان يفعله رسولنا ﷺ وهو خير البشر الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

أخرج ابن المبارك في الزهد أن النبي ﷺ قد أُتى له بطعام فقالت له عائشة رضي الله عنها: لو أكلت يا نبي الله وأنت متكئ كان أهون عليك. فأصغى بجبهته حتى كاد يمس الأرض بها وقال: «**بل آكل كما يأكل العبد، وأنا جالس كما يجلس العبد فإنما أنا عبد**»[٢].

العُجب أخطر الذنوب:

لقد كان ﷺ دائم التحذير لأصحابه من العُجب.. انظر إلى قوله ﷺ وهو يخاطبهم: «**لو لم تكونوا تُذنبون، لخفت عليكم ما هو أكبر من ذلك: العُجب.. العُجب**»[٣].

من هنا قال العلماء: خير من الإعجاب بالطاعة: ألا تقوم بالطاعة.. ومقصدهم من ذلك أنه خير من القيام بعمل والإعجاب به – في غير الفرائض – ألا تقوم به .. لماذا؟

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٣٧.
(٢) الزهد لابن المبارك (١٩٣) في زيادات نعيم بن حماد، وأوردهالألباني في السلسلة الصحيحة (٥٤٤).
(٣) حسن، صحيح الجامع الصغير (٥٣٠٣)، والسلسلة الصحيحة (٦٥٨).

لأن الإعجاب بالعمل يحبطه ويعرّض صاحبه للمقت من الله، أما عدم القيام بالعمل فليس فيه مقت. ويؤكد هذا المعنى ابن القيم بقوله: وإنك إن تبيت نائمًا وتُصبح نادمًا خير من أن تبيت قائمًا وتُصبح معجبًا، فإن المعجب لا يصعد له عمل، وإنك إن تضحك وأنت معترف، خير من أن تبكى وأنت مُدل، وأنين المذنبين أحب إلى الله من زجل المسبحين المدلّين»[(١)].

هكذا كان أسلافنا:

إذًا فالقضية ليست في النجاح بالقيام بالأعمال أو التفوق على الآخرين فقط؛ بل لابد أن يصاحب ذلك انكسار لله ﷻ ورؤية فضله، وكبح جماح النفس وإشعارها بأنها لا شيء بدون الله، وهذا ما كان يفعله رسولنا ﷺ وصحابته الكرام، ومن تبعهم بإحسان.. كانوا يظهرون خضوعهم وانكسارهم لربهم كلما ازدادوا رفعة في الدنيا.

فهذا رسول الله ﷺ يدخل مكة فاتحًا بعد أن أخرجه منها أهلها.. فماذا كانت حاله وقت دخوله؟!

أقبل ﷺ وقد تعمم بعمامة سوداء، فلما اجتمعت عليه خيوله، ورأى ما أكرمه الله به تواضع لله حتى إن عنثوته (ذقته) لتَمسُّ واسطة رحله[(٢)].

وهذا النجاشي يلبس ملابس رثة، ويجلس على التراب بعد أن بلغه انتصار المسلمين في بدر، فقال له جعفر بن أبي طالب: ما بالك تجلس على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الأخلاق؟! قال: إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى عليه السلام: إن حقًا على عباد الله أن يحدثوا لله تواضعًا عندما أحدث لهم من نعمة، فلما أحدث

(١) تهذيب مدراج السالكين/ ١٢٠.
(٢) الزهد لابن المبارك (٥٣) في زيادات نعيم بن حماد.

الله نصر نبيه، أحدثت هذا التواضع[١].

الدواء المضاد:

أخي الداعية: **إن النفس دومًا تطلب التميز والرفعة عمن حولها؛ لذلك فهي لن تكف عن مطالبة صاحبها بالإعجاب بها ورؤيتها بعين الاستعظام.. من هنا كان لابد من دوام مجاهدتها والحذر منها..**

فإن حدث ونالت بغيتها في لحظة ضعف منا، فعلينا ألا نستسلم لها بل نسقيها الدواء المضاد الذي يعيدها لحجمها، ويذكرها بحقيقتها.. وهذا ما كان يفعله أهل الصلاح.

نادى عمر بن الخطاب يومًا: الصلاة جامعة.. وصعد المنبر وقال: أيها الناس، لقد رأيتني أرعى على خالات لي من بني مخزوم فيقبضن له القبضة من التمر والزبيب، فأظل في يوم وأي يوم.. ثم نزل !! فقال عبد الرحمن بن عوف: والله يا أمير المؤمنين ما زدت على أن قمئت نفسك. فقال عمر: ويحك يا ابن عوف، إني خلوت فحدثتني نفسي، فقالت: أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك؟! فأردت أن أعرفها نفسها[٢].

وهذا أبو عبيدة بن الجراح يؤم قومًا، فلما انصرف قال: ما زال الشيطان بي آنفًا حتى رأيت أن لي فضلاً على من خلفي، لا أؤم أبدا[٣].

وكانوا يحرصون على سماع النصيحة والنقد من الآخرين، ويعتبرون ذلك بمثابة دواء عظيم يشفى صاحبه من استعظامه لنفسه.. فهذا عمر بن عبد العزيز لما استُخلف يقول لمن حوله: انظروا رجلين من أفضل مَن تجدون، فجيء برجلين

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم (٢١٢).
(٢) صلاح الأمة في علو الهمة ٥/ ٤٣٤ لسيد حسين العفاني – دار الرسالة بيروت.
(٣) الزهد لابن المبارك (١٩٣) في زيادات نعيم بن حماد.

فكان إذا جلس مجلس الإمارة: أمر، فألقى لهما وسادة قبالته، فقال لهما: إنه مجلس شر وفتنة، فلا يكن لكما عمل إلا النظر إليَّ، فإذا رأيتما شيئًا لا يوافق الحق، فخوفاني وذكراني بالله ﷻ[1].

وكان الوزير نظام الملك يكثر من إدخال أحد الفقهاء عليه، فسئُل في ذلك، فقال: هذا الفقيه يدخل على فلا يطرينى، ولا يغرّني، بل يذكرني بذنوبي وتقصيري، فيخرج من عندي، وقد غسلت نفسي من الكبر، ثم هو لا يقبل مني عطاء ولو اجتهدت في إقناعه، أما غيره فأشعر حين يخرجون من عندي أن نفسي تغتر ويعتريها غفلات[2].

وخلاصة القول،

إنه ينبغي علينا ألا نحسن الظن بأنفسنا، بل نحذر منها وأن نعيش في حقيقة أننا لا شيء بدون الله ﷻ وأن قدْرنا عند الله مرتبط بعدم رؤيتنا أنفسنا بعين الاستعظام، وأنه ليست العبرة بأدائنا للعمل الصالح فقط، بل لابد أن نجتهد في أن يكون عملاً يرضي الله ﷻ كما دعا العبد الصالح ربه: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [الأحقاف: ١٥]، ولنعلم جميعًا أنه كلما ابتعدنا عن هذه الصورة البغيضة اقتربنا من نيل رضا الله ومن ثَمّ توفيقه وولايته ونصرته.

* * *

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي/ ٢٦٦ – دار مكتبة الهلال – بيروت.
(٢) أبطال ومواقف لأحمد فرج عقيلان/ ٤٣٠ – دار ابن حزم – بيروت.

الصورة الرابعة
العزة الزائفـــــة

ومن الصور التي ينبغي ألا تتمثل فينا: العزة الزائفة، وهي صورة مكملة للصورة السابقة، ولكن لخطورتها تم تخصيص وإفراد هذه الصفحات للحديث عنها.

مفهوم العزة:

العزة هي الرفعة.. فهل للبشر عزة حقيقية؟

الإجابة عن هذا السؤال تستلزم معرفة حقيقة الإنسان وموقعه الطبيعي والحقيقي أمام ربه.

فالله ﷻ هو خالق كل شيء ﴿**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الزمر: ٦٢].

ومالك كل شيء ﴿**للهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ**﴾ [المائدة: ١٢٠].

وبيده أزِمَّة الأمور كلها ﴿**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۞ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [الزمر: ٦٢، ٦٣].

وعنده خزائن كل شيء ﴿**وَللهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [المنافقون: ٧].

القوة كلها من عنده ﴿**وَأَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعًا**﴾ [البقرة: ١٦٥].

والعزة كذلك ﴿**إِنَّ العِزَّةَ للهِ جَمِيعًا**﴾ [يونس ٦٥].

.. هو الذي يقدم ويؤخر، ويقبض ويبَسط، ويخَفض ويرفع، ويُعز ويُذل، ويُغني ويُفقر، ويُضحك ويُبكي: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ**

﴿الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

أما الإنسان فهو مخلوق من مخلوقات الله، حياته كلها قائمة به، ومعتمدة اعتمادًا تامًا عليه سبحانه.

الأصل فيه الضعف: ﴿وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

عاجز.. لا يمكنه إنفاذ إرادته إلا إذا شاء ربه: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ليس له من الأمر شيء: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

جاهل لا يحيط علما بكل شيء ولا يعلم الغيب: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤].

فقير فقرًا ذاتيًا ومطلقًا إلى ربه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ﴾ [فاطر: ١٥].

هذه هي حقيقتي وحقيقتك – أخي – لذلك فإن العلاقة التي ينبغي أن تكون بين الواحد منا وبين ربه هي علاقة العاجز بالقادر، والضعيف بالقوى، والذليل بالعزيز، والفقير بالغني، والجاهل بالعالم.. وعندما ينسى المرء هذه الحقيقة، وينخدع بالمظاهر الوهمية للقوة والغنى والعلم وغير ذلك من مظاهر العزة الزائفة؛ فإنه يبتعد عن ربه وعن معيته وتوفيقه، ويُعرِّض نفسه لسخطه، وكيف لا وهو بذلك يكون قد تمرد على الوظيفة التي ما خلقه الله إلا للقيام بها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

الذلة طريق العزة:

إن كانت العزة كلها لله وبيده وحده خزائنها، ولا يوجد لأحد عزة سواه، فقد جعل سبحانه الطريق إلى منحها لعباده ورفعهم بها على غيرهم ونصرتهم وكفايتهم يمر من خلال تذللهم إليه وانكسارهم بين يديه، وانخلاعهم من كل صور زائفة للعزة، ولِمَ لا؟! والذل والانكسار والخضوع هو المظهر الحقيقي للعبودية الصادقة التي ترضي الله ﷻ وتضع صاحبها في القالب الذي يريده ربه منه.

معنى ذلك: أنه كلما تذلل العبد وانكسر لله رفعه الله إليه ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ**﴾ [آل عمران: ١٢٣].

فإذا ما ترك التذلل، وخلع رداء العبودية هوى إلى الأرض ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ**﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

وهذا ما أوصى به الله عباده على مَرِّ الزمان.. جاء في كتاب الزهد للإمام أحمد أن الله ﷻ أوحى إلى موسى عليه السلام: «**أن يا موسى إذا دعوتني فاجعل لسانك من وراء قلبك، وكن عند ذكري خاشعًا مطمئنًا، وإذا قمت بين يديَّ فقم مقام العبد الحقير الذليل، وذُمَّ نفسك فهي أولى بالذم وناجني حين تناجني بقلب وَجِلٍ ولسان صادق**»[(١)].

وكلما دققت النظر في سيرة الرسل والأنبياء والصالحين تجد أنهم كانوا أكثر الخلق انكسارًا لله وتذللاً له.. تأمل معي دعاء رسول الله ﷺ عشية عرفة وهو يقول لربه: «أنا البائس الفقير، المستغيث، المستجير، الوجل، المشفق، المقر المعترف بذنبه،

(١) الزهد للإمام أحمد ص ٨٦، ٨٧.

أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، دعاء من خضعت لك رقبته، وفاضت لك عيناه، وذل جسده، ورغم أنفه»[(١)].

نِعْم العبد محمد ﷺ:

لو جاز لأحد أن يفتخر ويعتز بمكانته لجاز لمحمد ﷺ.. أليس هو خير البشر وأفضل الرسل وصاحب الشفاعة؟!

أليس هو من أمَّ الرسل والأنبياء في المسجد الأقصى في رحلة الإسراء؟!

أليس هو الذي قال الله له ﴿**فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾ [الطور: ٤٨]، وأقسم بحياته قائلاً: ﴿**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [الحجر: ٧٢]، ومع هذا كله لم نجده ﷺ إلا عبدًا متواضعًا ومنكسرًا لله ﷻ.. لم يتعامل مع نفسه ولا مع الناس على أساس المنزلة التي أكرمه الله بها.. لم يكن جلوسه في مكان مميز عن الآخرين بل (يجلس بين أصحابه مختلطًا بهم حينما انتهى به المجلس جلس)[(٢)].

وكان ينهى أصحابه عن القيام له، فعن أبي أمامة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكِّئا على عصا، فقمنا له. قال: «**لا تقوموا كما تقوم الأعاجم، يُعظِّم بعضها بعضا**»[(٣)].

ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رِعدة، فقال له: «**هوِّن عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد**»[(٤)].

و«**كان إذا لقيه أحدٌ من أصحابه فقام معه، قام معه فلم ينصرف حتى يكون**

(١) رواه الطبراني عن ابن عباس.
(٢) الشفا للقاضي عياض ١/ ١٠٥.
(٣) أخرجه أبو دواد وابن ماجه.
(٤) صحيح، رواه ابن ماجه والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ح (٧٠٥٢).

الرجل هو الذي ينصرف عنه، وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده ناوله إياها فلم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده منه»[١].

و«**كان يأتي ضعفاء المسلمين، ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم**»[٢].

و«**كان يمر الصبيان فيُسلِّم عليهم**»[٣].

و«**كان يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير**»[٤].

و«**كان يؤتى بالتمر فيه دود فيفتشه، يُخرج السوس منه**»[٥].

و«**كان يَفلى ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه**»[٦].

و«**كان يصغى للهرَّة الإناء، فتشرب، ثم يتوضأ بفضلها**»[٧].

خطورة العزة الزائفة:

فإن كان هذا هو حال أفضل البشر- وأعلاهم مرتبة عند الله ﷻ وعلا، فماذا ينبغي علينا أن نكون؟!

إن العزة الحقيقية – أخي الداعية – هي عزة العبودية لله ﷻ، وذلك حين يضع المرء نفسه في مكانه الطبيعي أمام ربه، فيحدث له الاتصال الحقيقي به، ومن ثم يدخل في دائرة معيته وولايته وكفايته التي وعد بها عباده ﴿**أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ**

(١) صحيح الجامع الصغير (٤٧٨٠).
(٢) السابق (٤٨٧٧).
(٣) السابق (٥٠١٤).
(٤) السابق (٤٩١٥).
(٥) السابق (٤٨٧٥).
(٦) السابق (٤٩٩٦).
(٧) السابق (٤٩٥٨).

﴿عَبْدَهُ﴾[الزمر: ٣٦]، وعندما تغيب هذه الحقيقة، ويترك المرء مكانه كعبد أمام ربه، فإنه يفقد مصدر عزته الحقيقية، ليزداد تخبطه وشعوره بأن هناك شيئًا ينقصه، فيجتهد في البحث عنه من خلال تحصيل أسباب العزة الزائفة، فيعرِّض نفسه لغضب الله ومقته وعقوبته، وفي الوقت ذاته: لا يصل إلى مبتغاه ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [التوبة: ٥٥]، وكيف لا وقد قال سبحانه في الحديث القدسي: «**العز إزاري، والكبرياء ردائي فمن نازعني بشيء منهما عذبته**»(١).

إنه أمر خطير حذَّرنا منه القرآن ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣].

ولقد حذرنا رسول الله ﷺ من خطورة الحرص على العزة والشرف بقوله: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**»(٢).

وقال: «**كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب، لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم، أو ليكونن أهون على الله من الجُعْلان**»(٣).

ومما يؤثر عن الإمام علي رضي الله عنه أنه قال: إن الرجل ليحبُّ أن يكون شسع نعله أفضل من شسع نعل أخيه، فيدخل في هذه الآية ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣](٤).

من صور العزة الزائفة:

أخي الداعية: لنعلم جميعًا بأنه لا يوجد شيء ذاتي يمكن للإنسان أن يعتز به

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ٣٥-٣٦) والبخاري في الأدب المفرد (٥٥٢) واللفظ له.
(٢) أخرجه الإمام أحمد والنسائي وابن حبان، وقد صححه الترمذي وابن حبان والألباني وغيرهم.
(٣) صحيح الجامع الصغير (٤٥٦٨).
(٤) الدر المنثور للسيوطي ٥/ ٢٦٥.

ويشعر أنه أرفع وأميز ممن حوله بسبب امتلاكه له، فالأصل واحد ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠]، والعزة كلها بيد الله.. تأمل قوله تعالى لحبيبه ﷺ وهو يواسيه بعدما تعرض للكثير من المضايقات من مشركي مكة: ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يونس: ٦٥].

وعندما ينسى العبد هذه الحقيقة فقد يتلبس بمظاهر عديدة للعزة الزائفة، فتراه يظن أنه أرفع من غيره وأكثر شرفًا إذا رأى في نفسه أن عنده شيئًا ليس عند ذلك الغير.. ومن ذلك:

- العزة بشهاداته، فيشعر أنه أرفع وأعلى من غيره بما حصل عليه من شهادات.
- العزة بشكله ووسامته ورشاقته وطوله.
- العزة باسمه الذي يشبه اسمًا من أسماء الصحابة، أو بنسبه فهو ابن فلان الداعية أو المدير أو من أسرة فلان أو... إلخ.
- العزة بسبقه في الدعوة وعمله للإسلام.. بصلاته للفجر.. بصيامه التطوع.. بإنفاقه.. بكثرة حجه.
- العزة بماله وبزوجته وأولاده.
- العزة بمعارفه، فهو يعرف فلانًا وفلانًا وغيره لا يعرفهم لذلك فهو أعلى وأرفع منه.
- العزة بمسكنه الواسع، وبمكان سكنه المميز في حي راقٍ.
- العزة بسيارته وأثاث منزله و...
- العزة بالثوب الجديد، والحذاء الجديد، و....
- العزة بالألقاب.. مثل: الدكتور، المهندس، المحاسب، العالم.

- العزة بصبره وثباته وعدم فتنته.

وغير ذلك من الصور المتعددة للعزة الزائفة التي لا ينسب صاحبها الفضل لله، وليس معنى هذا ألا يفرح المسلم بما يتميز به عن غيره، بل عليه أن يفرح ولكنه فرح بالله وبفضله الذي غمره ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [يونس: ٥٨]، فهذا هو الفرح المحمود، أما الفرح المذموم فهو أن يفرح المرء بنفسه ويعتز بها.

العزة الزائفة والداعية:

هذه الصورة الخطيرة قد تصيب الداعية، فيرتفع بنفسه على غيره بما حباه الله من إمكانات، وبما اختاره للدعوة والعمل في مشروع نهضة الأمة، فيظن أنه بذلك قد تميز على غيره، وأنه أرفع منه وأميز كما حدث مع اليهود عندما فضلهم الله واختارهم في فترة من الفترات وذلك بصبرهم وإيمانهم ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا**﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وهذا التفضيل – كما قيل – ليس مرتبطًا بالشخص، ولكن بحالة العبودية التي يتمثلها؛ فإن استقام وتذلل وانكسر ارتفعت قيمته عند الله، وإن نكث هوى إلى الأرض.. والذي حدث أن اليهود ظنوا أنهم مميزون بأشخاصهم عند الله فقالوا واهمين: ﴿**نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**﴾ [المائدة: ١٨].

فماذا حدث لهم؟

جرت عليهم السنة الإلهية التي حذرهم الله منها ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ۞ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى**﴾ [طه: ٨٠، ٨١].

فصاروا بطغيانهم أذل أهل الأرض ﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ**

الله مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

إذن فعندما يظن الداعية أن أفضل وأرفع من غيره – لأنهم لا يسيرون معه في نفس الطريق – فقد وقع في منزلق العزة الزائفة.

وعندما ينظر إلى من سواه ممن لا يعملون علمه، ولا يفهمون فهمه، ولا يسيرون تحت رايته؛ نظرة تسفيه واستعلاء، وينعكس ذلك على تعامله معهم فيحتقر جهودهم، ويُعرض عن نصائحهم الموضوعية فإنه بذلك قد عرَّض نفسه للغضب الإلهي والحرمان من التوفيق والفلاح.. فإياك أخي الداعية من هذه الصور البغيضة، واعلم أن الله ﷻ عندما اختارك لهذا المكان فإن اختياره لك ليس اختيارًا أبديًا بل هو اختبار لك **﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾** [يونس: ١٤].

فهل ستتواضع وتقول: **﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾** [النمل:٤٠]، أم ستقع في منزلق العزة الزائفة فتردد: **﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾** [الزمر: ٤٩]؟!

واعلم أن من أهم صور التواضع والانسلاخ من لباس العزة الزائفة: تعاملك مع غيرك ممن لم يصحبوك في عملك الدعوى سواء كانوا من أهلك أو من جيرانك أو زملائك أو ممن يرتادون المسجد معك.. هذا التعامل ينبغي أن يكون منطلقًا من قوله تعالى: **﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾** [المائدة: ٥٤]، فتخفض جناحك لهم، وتحنو عليهم، وتصغى سمعك لهم، وتهتم بمشاعرهم.

يقول عطاء: والله إن الرجل ليُحدِّث بالحديث لأنا أعلم به منه، ولعسى أن يكون سمعه منى، فأنصت إليه وأريه كأني لم أسمعه من قبل.

وكان داود عليه السلام يدخل المسجد فينظر أغمط حلقة من بنى إسرائيل فيجلس إليهم، ثم يقول: مسكين بين ظهراني مساكين [١].

الفرق بين التواضع والمهانة:

وهناك أمر يلزم التنويه إليه وهو: معرفة الفرق بين التواضع والمهانة حتى لا يلتبس الأمر.

يقول ابن القيم: والفرق بين التواضع والمهانة: أن التواضع يتولد عند العبد من بين العلم بالله سبحانه، ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عملها وآفاتها، فيتولد من بين ذلك كله خلق هو التواضع وهو انكسار القلب لله، وخفض جناح الذل والرحمة بعباده، فلا يرى له على أحد فضلا، ولا يرى له عند أحد حقًا، بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قبله.

أما «المهانة»: فهي الدناءة والخسة وبذل النفس وابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها، كتواضع السفل في نيل شهواتهم، وتواضع طالب كل حظ لمن يرجو نيل حظه منه، فهذا كله ضعة لا تواضع، والله سبحانه يحب التواضع ويبغض الضعة والمهانة[٢].

***

(١) الزهد للإمام أحمد / ٧٣ – دار الكتب العلمية – بيروت.
(٢) الروح لابن القيم ص٢٣٣، ٢٣٤.

الصورة الخامسة
التعلق بالدنيا والانشغال بها

من الصور المرفوضة للداعية: التعلق بالدنيا، والانشغال بها، واللهث وراء تحصيل أسباب الرفاهية فيها.

.. لقد خلق الله الدنيا وجعلها دار امتحان يمكث فيها الإنسان مدة قصيرة من الزمن ثم يتركها وينتقل إلى مرحلة جديدة في رحلة العودة إلى ربه، والوظيفة الأساسية التي ينبغي أن ينشغل بها طيلة هذه المدة هي القيام بالأعمال التي تنفعه في مستقره النهائي، فإذا ما انبهر بالدنيا، وانشغل بما فيها من زينة، فسيؤثِّر ذلك حتما بالسلب على سعيه نحو هدفه.

قال ﷺ: «**من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى**»(١).

فإن كان التعامل مع الدنيا بالنسبة لعموم الناس ينبغي أن يكون في الإطار الضيق الذي يتناسب مع فترة بقائهم فيها، فإن الأمر بالنسبة للداعية يكون أشد وأشد، ولِمَ لا؟! وانشغاله بالدنيا يعنى التهلكة، وتأخير تحقيق الحلم. تأمل قوله تعالى: ﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ [البقرة: ١٩٥].. أتدري – أخي الداعية – فيمن نزلت هذه الآية؟!

يقول ابن كثير: حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى فرقه–ومعنا أبو أيوب الأنصاري– فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة. فقال أبو

(١) رواه الإمام أحمد، وابن حبان في صحيحه، والحاكم والبيهقي في الزهد وغيره.

أيوب: نحن أعلم بهذه الآية منكم، إنما أنزلت فينا، صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد، ونصرناه، فلما فشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار تحببًا، فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ ونصره حتى فشا الإسلام وكثر أهله، وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهما، فنزل فينا: ﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ [البقرة: ١٩٥].

فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد[1].

فالتهلكة الحقيقية بالنسبة للداعية ليست في انزواء الدنيا عنه، وضيق ذات يده؛ بل في انشغاله بالزرع، بالأعمال الإضافية، بالمشاريع المتشعبة، بالسعي المتواصل لتوفير أسباب الحياة المرفهة لأهله وتأمين مستقبل أولاده.

وعندما ينشغل الداعية بمثل هذه الأمور فإنه بذلك يضر بدعوته أيّما ضرر، ويُبعد نفسه عن الدائرة التي يريده الله أن يكون فيها.

هل نترك الدنيا؟

وليس معنى هذا هو ترك الدنيا، بل المقصد التخفف منها، وأن تكون بالنسبة للداعية وسيلة يتحصل من خلالها على ما يقيم حياته بصورة عادية، فالداعية ليس كبقية الناس؛ لأنه منتدب لمهمة عظيمة.. مهمة إيقاظ الأمة وإقامة المشروع الإسلامي، وهذا -بلا شك- يستدعى منه مجهودًا جبارًا، وعملاً متواصلاً.

إن النار قد شبّت في ديارنا، والأيدي العاملة لإطفائها قليلة، فإذا انشغلت تلك الأيدي بغير إطفاء ما احترق وبناء ما انهدم فأي مستقبل مظلم ينتظر أمتنا؟!

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٠٠- مكتبة العبيكان.

صناعة الحياة:

فإن قلت: ولكننا نريد صناعة الحياة، وتقديم البديل الإسلامي وذلك من خلال إقامة المشاريع والتوسع في المجالات المختلفة، وهذا يستدعى انشغالاً بهذه الأمور.

نعم.. هذا أمر في غاية الأهمية، ولكنه ليس الوظيفة الأولى لك أخي الداعية؛ فدورك العظيم هو: قيادة الحياة إلى الله.. وظيفتك: إيقاظ النائمين، وإرشاد الحيارى والشاردين.. وهذا يستدعى منك عملاً دءوبًا بالليل والنهار، فإن استطعت أن تجمع بين ذلك وبين عملك في صناعة الحياة فلا بأس؛ شريطة ألا يتأثر بذلك دورك الأساسي في ميدان الدعوة.

واعلم أن الكثير من المحبين للإسلام يريدون أن يخدموه، وفي نفس الوقت فإن ظروفهم ونفسياتهم تحول دون الاشتراك معك فيما تقوم به من أعمال.. هؤلاء هم الأَولى بالتوجيه إلى صناعة الحياة وتقديم النموذج الإسلامي الصحيح في المجالات المختلفة، فنشجعهم على بناء المدارس والمستشفيات والمصانع.. كلٌ حسب تخصصه.

الأعباء كثيرة:

قد يقول قائل: هذا كلام غير واقعي؛ فأعباء الحياة ومتطلباتها تستلزم أموالاً كثيرة، خاصة في هذا العصر الذي تعقدت فيه الأمور، وتغيرت الأعراف.

هذا صحيح لمن سار وراء الناس في أحلامهم وطموحاتهم، أما أنت أخي الداعية فوضعك مختلف.. أحلامك وطموحاتك ينبغي ألا تكون في السيارة أو المسكن الواسع أو ... إلخ.

أحلامك وطموحاتك وأهدافك ينبغي أن تكون في كسب أرض جديدة

للدعوة.. في إيقاظ نائمين، وتنبيه غافلين وإرشاد حائرين، وإعادة البسمة إلى شفاه المحبطين المضطهدين.

أخي:

إن هناك خطة محكمة لإشغال الناس وإلهائهم بالبحث عن لقمة العيش وتعليم الأولاد وتأمين مستقبلهم.. كل هذا ليدور الجميع حول ذواتهم، ولا يفكرون في شيء آخر سوى تلك الأمور، فانتبه لذلك، ولا تستسلم لتيار الدنيا تحت دعوى أن الكل قد استسلم له، واجتهد أن تعطى القدوة من نفسك في التعامل الصحيح معها.

ليست دعوة للفقر:

أخي الداعية: هذا الكلام ليس دعوة للفقر، بل دعوة لإعادة ترتيب الأولويات وإعطاء المهمة التي انتدبت إليها الأولوية في حياتك.

يكفيك عمل واحد بالنهار، لتكون من بعده متفرغًا لبيتك ودعوتك، ويكفيك معه الحديث القدسي الشريف: «**من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطى السائلين**»(١).

والذكر -بمفهومه الواسع- يشمل كل عمل صالح تقوم به.

أما أن تخرج من عمل لعمل، وتريد أن تكون بعد ذلك من أصحاب الدعوات المنشغلين بهموم الأمة فهذا لا يمكن أن يكون.. فإما الدنيا، وإما الآخرة، ولقد اختار لك الله طريق الآخرة، فلا تُبدِّل طريقك، واعلم أن من ترك شيئًا لله أبدله الله خيرًا من ﴿**وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [الأعلى: ١٧].

فاحذر أخي الدنيا، ، وإياك من التيه في أوديتها وشعابها، ولا تنَس مهمتك

(١) رواه الدارمي (٣٣٥٩) والترمذي (٢٩٢٧) وقال: حديث حسن غريب.

الأساسية.. تواضع في أحلامك الدنيوية.. اغرس في نفوس أهلك وأبنائك معنى الدنيا الحقيقي ودورنا فيها، مع تقديم البديل البسيط الذي يدخل السرور عليهم، ولا يشعرهم بالحرمان، ولا يكلفك الكثير.. فإن قلت: إن لي مصدرًا للرزق يجلب لي المال الوفير دون كبير عناء مني.. إن كان الأمر كذلك فبها ونعمت، فنعم المال للداعية.. يصون به وجهه، ويلبى طلبات أهله، ويجعله أكثر تركيزًا في دعوته، وتكافلاً مع إخوانه.

***

الصورة السادسة
الترخص والتساهل والوقوع في دائرة الشبهات

يقول الإمام الأوزاعي: كنا نمزح ونضحك، فلما صرنا يقتدى بنا خشيت ألا يسعنا التبسم[١].

إن المعنى الذي ترمى إليه هذه المقولة أن على العلماء والدعاة وكل من يُقتدى بهم دوام التذكر بأن هناك من ينظر إليهم، وقد يأخذ دينه من أفعالهم، ومن ثَمَّ عليهم (ألا يرضوا من أفعالهم الظاهرة والباطنة بالجائز منها، بل يأخذوا أنفسهم بأحسنها وأكملها)[٢].

من هنا نقول بأن سمو الرسالة التي يحملها الداعية تستلزم منه الارتقاء بنفسه ليكون على مستوى تلك الرسالة، وأن يسعى دوما لتطبيقها والالتزام بها، وألا ينسى بأن هناك من ينظر إليه ويتخذه قدوة له في أقواله وأفعاله..

أخي الداعية:

يقول ابن الجوزي: الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول[٣].

فكيف هي أفعالي وأفعالك؟!

هل هي أفعال تُحبب الناس في دين الله وتعطى صورة طيبة عن الدعوة؟ أم أن هناك تناقضًا بين أقوالنا وأفعالنا؟!

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٧/ ١٣٢.
(٢) تذكرة السامع والمتكلم لبدر الدين بن جُماعة.
(٣) صيد الخاطر.

إن لسان حال المدعو يقول لي ولك: «**إذا أردت أن تكون إمامي فكن أمامي**».

حتى لا تكون فتنة:

كان أحمد وعبد الرحمن زميلين في الدراسة، وكانا من أهل المسجد، يحبون الإسلام ودعاته، وكان أحمد لا يعجبه من عبد الرحمن (ألفاظًا) غير لائقة يكررها ويكثر منها ونبهه عليها لكنه كان يجادله بشأنها وأنها لا تقع تحت دائرة الحرام وفحش القول، فاستسلم أحمد، وفي معرض حديثهما عرف أحمد أن عبد الرحمن يلازم أحد الدعاة ويحرص على حضور مجالسه، وفي يوم من الأيام قابل أحمد هذا الداعية واستمع إلى حديثه فوجده يقول الألفاظ ذاتها التي يرددها عبد الرحمن، فعلم السبب والدليل الذي يستند إليه صاحبه.

إن حياة الداعية ليست محكومة فقط بالحلال والحرام بل لابد وأن يأخذ نفسه بمعالي الأمور ويزن كل أفعاله، ولا يسوغ لنفسه اتباع الرخص إلا في أضيق الحدود، وعليه أن يعلم أن هناك من يقلده ويأخذ دينه منه، فلو تساهل لتساهل الكثيرون، ولكانت النتيجة: أجيالاً هشة، ونفوسًا ضعيفة.

إن النفس البشرية تكره التكليف، وتحرص دومًا على نيل حظوظها في التمتع بالدنيا، وعندما تجد مقاومة من صاحبها لرغباتها فإنها لا تستسلم بل تظل تبحث عن المبررات المقنعة التي تضغط بها عليه، ومن أهم تلك المبررات:

رؤية أصحاب القدوات يفعلون ما ينهاها صاحبها عن فعله فتضغط عليه بقوة، وتدخل من مدخل الدين وتستقوي بمواقف هؤلاء القدوات، وأنه لولا علمهم بأن أفعالهم جائزة ما فعلوها، فتضعف تدريجيًا مقاومته أمامها حتى يصل به الأمر إلى فعل الكثير مما تهواه وتشتهيه.

...يحكي أحد الأصدقاء أنه كان يزور أحد الدعاة قبل صلاة مغرب يوم من الأيام، وامتد الحديث بينهما حتى دخل وقت الصلاة فوجده يستمر في الحديث حتى انتهى منه، ثم قام يتهيأ للصلاة في منزله فصليت معه.

يقول هذا الصديق: هذا الموقف تسبب في إضعاف صلتي بالمسجد، فمع أي إرهاق أشعر به أو انشغال ولو محدود يتعارض مع وقت الجماعة الأولى بالمسجد تجدني – في الغالب – أصلي في المنزل أو المكتب: وإذا ما شعرت بتأنيب الضمير قفزت إلى مخيلتي صورة صلاة المغرب التي صليتها مع هذا الداعية في بيته.

لنتق الله في ديننا:

من أهم إستراتيجيات الحرب الجديدة على الإسلام من قِبَل أعدائه: العمل على تغيير مفهوم الإسلام في نفوس المسلمين، وتفريغه من مضمونه، وتحويله إلى دين هش متميع، بدون خطوط فاصلة.. فاحذر أخي أن تساهم – دون أن تدري – في إنجاح هذا المخطط، وذلك حين تتهاون في أمور دينك.

ومن هذا المنطلق أقول لنفسي وإياك ناصحا:

إن حياتك أخي الداعية ليست كحياة بقية الناس؛ فلا ينبغي لك أن تتبع الرخص، فضلاً عن أن تأخذ بها في غير موضعها.. لا يجوز لك التساهل فيما لا ينبغي التساهل فيه فتقع في دائرة الشبهات ثم المحرمات – والعياذ بالله.

فعلى سبيل المثال: تلك الفضائيات التي غزت البيوت – مع ما فيها من خير – إلا أنها تحمل أضرارًا ومفاسد عظيمة بما تبثه من فجور وإباحية، فإياك أن تترك الفضائيات لتبث سمومها في بيتك، بل اقتصر على المفيد النافع، وانبذ الضار منها، ولا تتهاون في ذلك، فمعظم النار من مستصغر الشرر.

إياك – أخي الداعية – أن تسمح للمسلسلات والأفلام غير المنضبطة أن تجد

لها سبيلاً في بيتك.. إياك أن تكون ممن يشجع فريقًا من الفرق الرياضية ويتعلق به فيفرح لفوزه، ويحزن ويكتئب لهزيمته.. ليس هذا هو الهمّ الذي ينبغي لمثلك أن يحمله.

إياك من ارتياد المصايف والمتنزهات التي يجاهر فيها الناس بالمعاصي، وتحرَّ الأماكن المنضبطة التي تُروِّح فيها عن نفسك وأولادك دون أن تغضب الله ﷻ.

الدين المعاملة:

كن – أخي الداعية – ممثلاً للإسلام في تعاملاتك؛ فلا تخلف موعدًا، ولا تتحدث عن الآخرين إلا بالخير، وكن صادقًا دومًا، مهما كلفك ذلك.. أدِّ الأمانة لمن ائتمنك، ولا تخن من خانك.

كن في عملك مجتهدًا.. صادقًا.. ورعًا.. لا تخض مع الخائضين بل كن حمامة سلام بين الجميع.

احذر من التعاملات المالية التي تحوم حولها الشبهات.

اعفُ عمن ظلمك، وتجاوز عمن أخطأ في حقك، وعامل الجميع بإحسان.

أختاه.. انتبهي:

وأنت يا أختاه، يا من ارتضيت العمل في حقل الدعوة.. إياك أن تتساهلي في زيك ومعاملاتك مع الآخرين، فالله يراك، والعيون تراقبك، وغيرك يتخذك قدوة له.

فإياك من الزيِّ الذي ينحرف عن مواصفات زى المرأة المسلمة.

إياك من ثياب الشهرة، وألوان الشهرة.. إياك من الملابس الضيقة.

إياك من غطاء الرأس الذي يكشف من شعرك ولا يغطي ما ينبغي تغطيته.

احذري الخلوة بالرجال ولين القول معهم.

لا تكثري الخروج من بيتك.. نعم، هناك واجبات عليك القيام بها، ومع ذلك ينبغي أن تعلمي أن مكانك الأول هو بيتك ففيه تحسني التبعل لزوجك، وتتعاهدي أولادك بالرعاية، وليكن خروجك منه للحاجة كالقيام بالتكاليف الدعوية، أو أداء واجبات اجتماعية، أو القيام ببعض مصالح البيت التي لا يمكن لزوجك أن يقوم بها.

واعلمي أن من أحب الأشياء لزوجك أن يراك أمامه في أحسن زينة، وأن يشعر بجهدك مع الأولاد، وأن يفاجأ بلمساتك الجميلة في البيت.

الذنوب سبب البلاء:

هذه وغيرها – أخي الداعية – أمور أحذّر نفسي وإياك من التساهل فيها وعدم الانتباه إليها كي لا نقع في دائرة الشبهات، ثم المحرمات والعياذ بالله.

وإن كان بعض العلماء الذين يشعرون بمصائب الأمة وعموم بلوتها يجتهدون في التخفيف عن الناس، ورفع الحرج عنهم كي لا ينفروا من الدين وبالتالي يرتدون إلى دائرة الإثم، فإن هذا لا ينبغي أن ينطبق عليك أخي الداعية؛ فوضعك يستلزم منك الجد والأخذ بعزائم الأمور ما وسعك ذلك.

ولنعلم جميعًا أن أخطر شيء يضر بمشروعنا العظيم هو ذنوبنا، فبسببها يتأخر البناء، ويكثر الابتلاء، فإن الرجل يُحرم الرزق بالذنب يصيبه كما قال ﷺ[1] فماذا عن الدعوة؟ وكيف يكون نوع الحرمان الذي يحدث لها بسبب ذنوبنا؟ تأمل معي قوله تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور: ٦٣].

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٢٢)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

والذنوب تعنى كل شيء: الصغائر والكبائر.. ألم يقل ﷺ: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقِّرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقِّرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه**»[1].. فاحذر أخي الداعية أن تُوتي الدعوة من قبلك.

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، والطبراني والبيهقي في الشعب، وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢٦٨٦).

الصورة السابعة
عدم بذل الجهد في سبيل الله

أخي الداعية:

لقد أكرمنا الله ﷻ كرمًا عظيمًا عندما انتدبنا للمشاركة في مشروع نهضة الأمة وعودة مجدها وعزها، ولكن علينا أن ننتبه جميعًا، فليس هذا الاختيار والتكريم مرتبطًا بذواتنا بل هو مرهون بمدى قيامنا بواجباتنا.

لقد انتدبنا الله لننفق من جهودنا وأوقاتنا وأموالنا في سبيله، وفي سبيل إعلاء كلمته ورفع رايته، وهو سبحانه ناظر إلينا.. يرى ماذا سنفعل، فإن استجبنا لدعوته، وبذلنا من أجله فنحن بذلك نسير في الطريق الصحيح الذي يُرضيه، وإن لم نفعل فما أيسر أن يستبدل بنا قومًا آخرين ﴿**هَا أَنْتُمْ هَؤُلاَءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ [محمد: ٣٨].

إذًا.. عليك – أخي الداعية – أن تبذل قصارى جهدك في الدعوة، ولا تكتف بوجودك بين العاملين في المشروع الإسلامي، ولا تظن أن هذا يكفي، بل لابد من جهد عظيم تبذله.

لابد من عمل تقوم به ويشغل عليك فكرك وخواطرك، واعلم أن المجال مفتوح للجميع، والتربة خصبة تنتظر من يضع فيها البذر ويتعاهد الزرع.

إمكاناتي محدودة:

قد تقول إن إمكاناتي محدودة، ولا أستطيع أن أقوم بما يقوم به الآخرون.

لا يا أخي.. تستطيع وتستطيع بعون من الله سبحانه، فأهم عامل يحقق النتائج – بإذن الله – ليس هو الإمكانات، بل الرغبات والهمم والعزائم، بمعنى: أن التفاوت الحقيقي بين الناس يكون بالدرجة الأولى تابعًا لتفاوت عزائمهم، فمن عنده عزم أكيد لتحقيق شيء ما حققه بإذن الله.

إن جميع المخلوقات – بما فيهم البشر – بلا قوة ذاتية يمتلكونها، فالقوة كلها لله ﴿**وَأَنَّ الْقُوَّةَ لله جَمِيعًا**﴾ [البقرة: ١٦٥]، فنحن جميعًا لا نستطيع فعل شيء نريده إلا إذا أمدنا الله ﷻ بالقوة اللازمة لفعله ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾ [يونس: ٢٢].

هذا الإمداد الإلهي مرتبط – بصورة أساسية – بمقدار رغبة العبد وعزمه على تنفيذ هذا الفعل ﴿**إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا**﴾[النساء: ٣٥]، ﴿**فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا**﴾ [الجن: ١٤].

فالإمداد على قدر العزم والاستعداد ﴿**فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا**﴾ [الرعد: ١٧].

قال ﷺ: «**ومن يتحرَّ الخير يعطه**»(١).

وقديمًا قالوا: إذا صح منك العزم هُديت إلى الحيل (الطرق).

ولنا في عمر بن عبد العزيز أبلغ المثل في ذلك، فلقد صح عزمه على أن يسير بالأمة بسيرة جده عمر بن الخطاب، فيسَّر الله له أمره، وحقق مراده في فترة حكمه الوجيزة التي لم تتعدَّ ثلاثين شهرًا، ولقد أرسل له سالم بن عبد الله بن عمر رسالة تؤكد هذا المعنى ردًا على رسالته التي طلب منه فيها أن يكتب إليه بسيرة جده عمر ليسير بها، فكتب إليه سالم:

(١) حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٣٢٨).

«أما بعد»... فقد جاءني كتابك الذي تذكر فيه أن الله ﷻ ابتلاك بإمرة المسلمين من غير طلب منك ولا مشورة، وأنك تريد أن تسير بسيرة عمر، فلا يَفُتْك أنك في زمان غير زمان عمر، وأنه ليس في رجالك من يماثل رجال عمر، ولكن أعلم أنك إن نويت الحق وأردته أعانك الله عليه، وأتاح لك عمالا يقومون لك به، وأتاك بهم من حيث لا تحتسب، فإن عون الله للعبد على قدر نيته، فمن تمت نيته في الخير تم عون الله له، ومن قصرت نيته نقص من عون الله له بقدر نقص نيته[١].

هذه الوصية تبين -بما لا يدع مجالا للشك- أنه يمكننا جميعًا أن نخدم هذه الدين وننهض بالأمة من جديد إن صحت عزائمنا.

يقول ابن الجوزي: لو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد لرأيت المقصر في تحصيلها في حضيض.

ويقول رحمه الله: اعلم أنك في ميدان سباق، والأوقات تُنتهب، فلا تخلد إلى كسل، فما فات من فات إلا بالكسل، ولا نال من نال إلا بالجد والعزم[٢].

الجائزة:

وتذكر – أخي – أن الأذان كان جائزة لمن بات يحمل هم هذه الأمة وهذا الدين ولم يجد لهذه المشكلة حلاً، فأرسل الله الرؤيا الصالحة لعبد الله بن زيد فيها هذا الأذان الذي فرح به الصحابة وجاء عمر بن الخطاب ليؤكد رؤيا عبد الله تكريمًا لمن يحمل هذا الهم وليس في يده حل، فعن عبد الله بن زيد قال: لما أمر رسول الله ﷺ بالناقوس ليضرب به الناس في الجمع للصلاة -وفي رواية: وهو كاره لموافقته للنصارى- طاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوسًا في يده. فقلت له: يا عبد الله أتبيع

(١) صور إيمانية من حياة الصحابة والتابعين لمصطفى أبو المعاطي ١/ ٢٢٤، ٢٢٥ – دار زهرة المدائن – المنصورة. وانظر سيرة ومناقب عمر بن العزيز لابن الجوزي.
(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي.

الناقوس؟ قال: ماذا تصنع به؟ قال: فقلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ فقلت له: بلى. قال: تقول: «**الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر. أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله. حي على الصلاة، حي على الصلاة. حي على الفلاح، حي على الفلاح. الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله**».

ثم استأخر غير بعيد ثم قال: «**تقول إذا أقيمت الصلاة: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حى على الصلاة، حى على الفلاح، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله**».

فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت. فقال: «**إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به فإنه أندى صوتًا منك**» قال: فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به. قال: فسمع بذلك عمر وهو في بيته فخرج يجر رداءه يقول: والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي أُرِى. قال: فقال النبي ﷺ: «**فلله الحمد**»[1].

الحرقة المطلوبة:

من هنا نقول بأنه على قدر رغبتي ورغبتك في العمل لهذا الدين والمشاركة الفعالة في مشروع إعادة مجد الأمة من جديد، سيكون – بإذن الله – عملنا وإنتاجنا، فوالله ثم والله لو كانت عندنا حرقة على ديننا وعلى ما يحدث لإخواننا المضطهدين في شتى بقاع الأرض مثل الحرقة التي نجدها على أولادنا عندما يصيبهم مكروه لتحقق الكثير والكثير في مشروعنا العظيم، ولقفزنا خطوات واسعة نحو تحقيق الحلم ولتقدمنا وتقدمنا.

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة والترمذي وقال: حسن صحيح.

وفي هذا المعنى يقول أبو الأعلى المودودي رحمه الله:

من لوازم المجاهدة في سبيل الله: حماسة القلب وتعلقه بالغاية. أما مجرد فهم الإنسان لأهداف هذه الحركة واطمئنانه بصحتها عقلاً، فإنما هي خطوة بداية لسلوك هذا الطريق، ولا يكاد مثل هذا التأثر يسمن ولا يغنى من جوع.

إنه من الواجب أن تكون في قلوبكم نار متقدة تكون في ضرامها على الأقل مثل النار التي تتقد في قلب أحدكم عندما يجد ابنا له مريضًا، ولا تدعه حتى تجره إلى الطبيب، أو عندما لا يجد في بيته شيئا يسد به رمق حياة أولاده ولا تزال تقلقه وتضطره إلى بذل الجهد والسعي.

إنه من الواجب أن تكون في صدروكم عاطفة صادقة تشغلكم في كل حين من أحيانكم بالسعي في سبيل غايتكم وتعمر قلوبكم بالطمأنينة وتكسب لعقولكم الإخلاص والتجرد، وتركز عليها جهودكم وأفكاركم بحيث إن شؤونكم الشخصية وقضاياكم العائلية إذا استرعت اهتمامكم لا تلتفتون إليها إلا مكرهين.

وعليكم بالسعي أن لا تنفقوا لمصالحكم وشؤونكم الشخصية إلا أقل ما يمكن من أوقاتكم وجهودكم فتكون معظمها منصرفة لما اتخذتم لأنفسكم من الغاية في الحياة.

وهذه العاطفة ما لم تكن راسخة في أذهانكم ملتحمة مع أرواحكم ودمائكم آخذة عليكم ألبابكم وأفكاركم، فإنكم لا تقدرون أن تحركوا ساكنا بمجرد أقوالكم[1].

الفشل الذريع:

ويستطرد المودودي قائلا: إنه إذا مرض لأحدكم ولد، لا يترك مسألة حياته

(١) تذكرة دعاة الإسلام للمودودي ص ٥٦، ٥٧ – المكتب الإسلامي.

وموته إلى غيره أبدًا، ومن المحال أن يتركه وشأنه معتذرا بأنه لا يجد من يقوم بتمريضه ويأتي له بالدواء أو يذهب به إلى الطبيب، فإنه إذا لم يجد غيره للقيام بهذه الأعمال يقوم بها بنفسه، إذ الولد ولده وهو أحق به من غيره.

إنه من الممكن أن لا يبالى الرجل بولد غيره ولا يجشم نفسه بالتفكير في أمره، ولكن من المحال عليه أن يغمض عينيه عن ولده من صلبه، ويأبى أن يبذل وسعه لعلاجه.

فهكذا إن كانت علاقتكم بأمر هذه الدعوة من أعماق قلوبكم، فأنى لكم أن تتركوها وشأنها ولا تبالوا بها، متكلين على غيركم، كما أنه من المحال حينئذ أن تدعوها تلفظ أنفاسها وتقبعوا في بيوتكم مشتغلين بمشاغلكم الأخرى، معتذرين بأنكم لا تجدون من يتعاون معكم على الترقي بها.

فإن هذا إن كان يدل على شيء فإنما يدل على وهن علاقتكم بدين الله وعجزكم عن بذل الجهد لإعلاء كلمته في الأرض، مثل علاقة الإنسان بولد غيره.

إنه لو كانت علاقتكم بغايتكم التي قمتم لأجلها قوية في حقيقة الأمر، لنسى كل واحد منكم نفسه في سبيل هذه الغاية، ولم يبال بالموت أو الحياة في سبيل تحقيقها.

واسمحوا لي أن أقول لكم: إنكم إذا خطوتم على طريق هذه الدعوة بعاطفة أبرد من تلك العاطفة القلبية التي تجدونها في قلوبكم نحو أزواجكم وأبنائكم وآبائكم وأمهاتكم، فإنكم لابد أن تبوءوا بالفشل الذريع..[1]

(١) تذكرة دعاة الإسلام للمودودي ص ٥٨، ٥٩ بتصرف يسير.

هيا انهض:

أخي الحبيب: أقول لنفسي ولك: لقد اختارك الله على علم، فلا تسمح للشيطان أن يصدك عن العمل ويوسوس لك بوساوسه، ويقنعك بأنك لا تصلح للعمل، ألم يقل سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لله وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩١]؟!

وقال ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق**»(١).

إن المسئولية أمام الله ﷻ فردية وبيدك تبنى قصرك في الجنة، ولقد أتاح الله لك فرصة عظيمة وفتح لك بابًا قلَّما يُفتح لأحد ألا وهو باب الجهاد في سبيله والعمل على إعلاء كلمته.. فماذا أنت فاعل؟

إياك أن تضيع الفرصة التي بين يديك وتستجيب لوساوس الشيطان بأنك لا تصلح أو أن ظروفك لا تسمح أو أن أعباءك الأخرى تعطلك.. بل تقدم واستعن بالله ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

إياك أخي الحبيب أن تبخل على دعوتك ودينك بعرقك ووقتك ومالك، فإن فعلت فسيتأخر تحقيق حلمنا جميعًا.. وما أراك تفعل إن شاء الله.

* * *

(١) رواه مسلم.

الصورة الثامنة

إهمال البيت

من الصور المرفوضة التي ينبغي أن نحذرها جميعا- أخي الداعية: إهمال البيت.. إهمال الزوجة والأولاد والانشغال عنهم إما بالعمل المعيش، وإما بالعمل الدعوى.

فإن قلت: ولكني أنشغل عنهم لأسعى في الأرض وأتكسب الرزق وأحصل على المال الذي يوفر لهم الحياة الكريمة.

لا يا أخي، بل جلوسك معهم- وقتا معتبرا- ومتابعتهم وربطهم بالله، وتحبيبهم في الدعوة وجعلهم جنودًا مخلصين لهذا الدين.. كل ذلك خير لهم ولك، وخير لمجتمعهم ودينهم ودنياهم وآخرتهم.

إن ارتباطك بعمل معيشي- يستغرق أداؤه بضع ساعات في اليوم، يوفر الحاجات الرئيسة، ويتيح لك من الوقت ما يعينك على المكث في البيت ومتابعة شئون أهلك وأولادك، وقيامك بوظيفتك الأساسية تجاههم بالتربية والتوجيه، أفضل بكثير من انصرام أغلب يومك في عمل معيشي- يُدرُّ عليك مالًا وفيرًا تستخدمه في توفير أسباب الحياة المادية المريحة لهم.

إن أولادك لن يكونوا مثلك جنودا لهذا الدين بالوراثة ولمجرد أنك أبوهم، ألم يقل خير البشر محمد ﷺ لابنته: «**يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لك ضرا ولا نفعا؟!**»[1].

لابد إذا من التعاهد والمتابعة والتوجيه لأهل بيتك، وهذا يستلزم وجودك

(١) صحيح، رواه الترمذي وأحمد عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٩٨٣).

بينهم لرؤية أوضاعهم على الطبيعة، ومعرفة ما يحتاجون إليه، ووضع الأساليب المختلفة التي تتناسب مع واقعهم.

واعلم- أخي الداعية- أن التقارير وحدها لا تكفى، فمهما بالغت زوجتك في وصف ما يحدث في غيابك فلن يغنى ذلك عن رؤيتك ومعايشتك لأولادك.

فإن قلت: إن أغلب الوظائف المطروحة في سوق العمل يتطلب أداؤها وقتا طويلا ولا خيار أمامي سوى الالتحاق بها وإلا أصبحت عاطلا بلا عمل فماذا أفعل؟!

أجيبك- أخي- بقوله ﷺ: «**ومن يتحر الخير يعطه**»[1]. فلو صحت نيتنا وقوي عزمنا في الوصول لعمل معيشي لا يستغرق أداؤه وقتا طويلا لأوصلنا الله إليه، وكما قيل: إذا صح منك العزم هديت إلى الحيل، وهناك- بفضل الله- الكثير من الأمثلة العملية التي تؤكد هذا المعني رواها أناس عاشوها بأنفسهم وفتح الله عليهم بأعمال لم يكونوا يتوقعونها، وهي في الوقت ذاته أعمال مجدية تفي باحتياجاتهم وتفيض.

لماذا نضحي؟!

ثم يا أخي الحبيب: لماذا تضحى هذه التضحيات، وتعمل ليل نهار، وتسافر بمفردك إلى بلاد الغربة؟! أليس ذلك من أجل أولادك؟

أليس ذلك لأنك تحبهم وتريد لهم الخير؟!

إذا فلتعلم أن أسمى وأعظم شيء يمكن أن تقدمه لهم ليس المال ولا الحياة المريحة؛ بل تأهيلهم للمهمة التي نزلوا إلى الأرض من أجل القيام بها.. أن تعينهم على ارتداء رداء العبودية لله..أن يكونوا عبيدًا طائعين منكسرين لله، متواضعين لخلقه، متوكلين دومًا عليه.. يحبونه أشد من حبهم لك، ويخشونه أشد من خشيتهم

(١) سبق تخريجه

لك.

هذا هو دورك الأساسي معهم، فإن فعلته فقد فتحت لهم أبواب السعادة على مصاريعها، وقدمت إليهم خدمة لن ينسوها لك، وسترى أثرها الطيب بمشيئة الله في دنياك وآخرتك.

الانشغال بالدعوة الخارجية على حساب الدعوة الداخلية لأهل البيت:

فإن قلت: هذا بخصوص الانشغال بالدنيا، فماذا عن الانشغال بالدعوة؟ هل أتركها وأجلس في البيت؟

الإجابة عن هذا السؤال تستدعي تذكير أنفسنا بمراحل العمل في مشروع الدعوة العظيم الذي يهدف إلى إنقاذ البشرية وإسعادها بالإسلام، ونشر نور الله في الأرض، وتوصيل رحمته للعالمين ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، والشهادة على الناس ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ [البقرة: ١٤٣] هذا الهدف العظيم لا يمكن السعي نحو تحقيقه والأمة بهذا الوضع البئيس، فلابد أولا من التغيير الداخلي للأمة وانتقالها من حالة المرض إلى الصحة، وهذا يستدعي صلاح أفرادها ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١]، فنقطة البداية هي صلاح الفرد ليقوم هذا الفرد بإصلاح بيته والذي يشكل الوحدة الأساسية للمجتمع، وكلما زاد عدد الأفراد والبيوت الصالحة زاد التحسن في المجتمع حتى تغلب عليه معاني الصلاح والإيجابية التي لابد وأن تفرز تلقائية حكومة جيدة تتبني اهتمامات المجتمع..

مراحل بناء المشروع الإسلامي:

ولقد وفق الله ﷻ الإمام حسن البنا في وضع تصور واضح لمراحل العمل التي من شأنها أن تقود الأمة- بإذن الله- إلى تحقيق هدفها العظيم في الشهادة على الناس

وإقامة الدين.

يقول رحمة الله:

١- نريد أولًا الرجل المسلم في تفكيره وعقيدته، وفي خلقه وعاطفته، وفي عمله وتصرفه.. فهذا هو تكويننا الفردي.

٢- ونريد بعد ذلك البيت المسلم في تفكيره وعقيدته، وفي خلقه وعاطفته، وفي عمله وتصرفه، ونحن لهذا نُعنى بالمرأة عنايتنا بالرجل، ونُعنى بالطفولة عنايتنا بالشباب، وهذا هو تكويننا الأسري.

٣- ونريد بعد ذلك الشعب المسلم في ذلك أيضًا، ونحن لهذا نعمل على أن تصل دعوتنا إلى كل بيت، وأن يُسمع صوتنا في كل مكان، وأن تتيسر فكرتنا وتتغلغل في القرى والنجوع والمدن والمراكز والحواضر والأمصار، لا نألُوا في ذلك جهدًا، ولا نترك وسيلة.

٤- ونريد بعد ذلك الحكومة المسلمة التي تقود هذا الشعب إلى المسجد، وتحمل به الناس على هدى الإسلام من بعد، كما حملتهم على ذلك بأصحاب رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر من قبل.

٥- ونريد بعد ذلك أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامي الذي فرقته السياسة الغربية.

٦- ونريد بعد ذلك أن تعود راية الله خافقة عالية على تلك البقاع التي سعدت بالإسلام حينًا من الدهر ودوي فيها صوت المؤذن بالتكبير والتهليل، ثم أراد لها نكد الطالع أن ينحسر عنها ضياؤه فتعود إلى الكفر بعد الإسلام.

إن من حقنا أن نعيد مجد الإمبراطورية الإسلامية التي قامت على العدالة والإنصاف، ونشر النور والهدايا بين الناس.

٧- نريد بعد ذلك ومعه أن نعلن دعوتنا على العالم، وأن نبلغ الناس جميعًا، وأن نعم بها آفاق الأرض، وأن نخضع لها كل جبار؛ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم[١].

إذن فتنشئة البيت المسلم القدوة تمثل مرحلة غاية في الأهمية من مراحل بناء المشروع الإسلامي، وهذا يحتاج مني ومنك- أخي الداعية- إلى مجهود خاص لا يمكن أن يقوم به غيرنا.

.. لابد من الاهتمام ببيوتنا كاهتمامنا بالمجتمع، ولنعلم بأنه حين نجلس بين أهلنا نعلمهم ونوجههم ونتابعهم فإننا بذلك لا نهدر الوقت، فهذا من صلب العمل في الدعوة، بل من أهم الواجبات التي سيسألنا الله عليها قال ﷺ: «**كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راعٍ، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، وهي مسئولة عن رعيتها**..»[٢] الحديث، فلنعمل أخي على توفير وقت معتبر لبيوتنا.

نعم، لابد من الموازنة بين الوقت المخصص للبيت، والوقت المخصص للعمل الدعوى خارجه، وهذا يستدعي منا جميعًا حسن ترتيب الأولويات، والاستفادة من الأوقات، وحسن انتهاز الفرص المتاحة.

(١) رسالة إلى الشباب من مجموعة رسالة الإمام الشهيد حسن البنا ص ١٧٧ - ١٧٩ وبتصرف يسير- دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة.
(٢) متفق عليه.

الصورة التاسعة

ضعف روابط الأخوة

كان على أحد الدعاة أن يقوم بإلقاء محاضرة عن الأخوة في الله و مدي أهميتها للعاملين للإسلام.. انتابت هذا الداعية الحيرة حول العناصر التي سيتحدث عنها، هل سيفعل مثلما فعل في السابق فيقوم بجمع الآيات والأحاديث الدالة على فضل الأخوة وحقوقها وواجباتها مع مزجها ببعض القصص والنماذج المأثورة من تاريخ السلف وماضي رجال الدعوة؟!.. في هذه المرة لم يجد في نفسه أي رغبة في تكرار مع فعله من قبل وبخاصة أن المحاضرة ستلقي على أُناس يعرفون هذا الكلام جيدًا، ورغم ذلك فإن العلاقات الأخوية بينهم ضعيفة يكسوها الجفاء والفتور..

انشغل صاحبنا بالأمر وظل يفكر ويفكر، ويستعين بالله حتى هدي إلى فكرة جديدة، فأسرَّها في نفسه ولم يبدها لأحد، وقام بتجهيز ما يحتاجه لتنفيذها، وانطلق في الوقت المناسب إلى مكان المحاضرة، وجلس في المكان المخصص له، وبدأ حديثه بالثناء على الله، والصلاة والسلام على رسوله ثم أخرج من جيبه (مِسْبحة) طويلة، وسأل الحاضرين عن اسمها فأجابوه، ثم بدأ يحركها يمينا ويسارا أمام أعينهم طالبًا منهم تركيز أنظارهم إليها جيدًا، وظل صامتا للحظات ثم أخرج من جيبه (مِقَصًا)، وعند منتصف المِسْبحة قام بقص الخيط الذي يجمع حباتها، فانفرطت الحبات وتناثرت في أرجاء المكان وتحت أقدام الحاضرين، والجميع في ذهول من ذلك المنظر المثير.

.. في هذه الأثناء قطع الداعية صمته قائلا لجلسائه: إن صمام الأمان لأي دعوة

صادقة- بعد قوة الصلة بالله- هو رابطة الأخوة، فالأخوة هي الحبل الذي ينتظم القلوب ويربط بعضها ببعض، فإذا ما انقطع هذا الحبل أو وهن تفرقت القلوب وابتعدت، فيكون لذلك أسوأ الأثر على الدعوة.

ساد الصمت المكان، واستشعر الجميع الخطر، وفهموا الرسالة جيدًا، وانكبوا يجمعون حبات المسبحة ليعيدوا وصلها من جديد بخيط متين، ثم انطلقوا يتصافحون ويتعانقون في حب وود.. العيون تدمع، والقلوب تخفق.. وبينما هم في هذه الحالة الإيمانية إذا بهم يسمعون الداعية يردد قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾ [الأنفال: ٧٣]، فقالوا جميعا: سنفعل سنفعل.

ما السبب؟:

وسط هذه الأجواء المفعمة بالمشاعر الصادقة، ارتفع صوت من بين الحاضرين يقول متسائلاً: ولكن ما السبب في ضعف ما بيننا من أخوة؟ ألم نكن في الماضي أحسن حالًا منا اليوم؟ كنا نمارس واجبات الأخوة بكل تلقائية.. نتزاور ونتهادي، ويسعى كل منا في خدمة أخيه، يسأل عن أحواله، ويتفقد أموره، ولا يهدأ له بال حتى يقضي حاجته، ويذلل له- بإذن الله- أي عقبة تواجهه؟.

ساد الصمت من جديد، وبدا الحاضرون وكأنهم يتذكرون ماضي أخوتهم الجميل، ويتفكرون في ذلك التساؤل: لماذا لم تعد الأخوة بيننا كما كانت؟! ثم انطلقت الألسنة بإجابات مختلفة؛ فمن قائل: إن السبب هو مشاغل الحياة الكثيرة، ومن قائل بأن الحياة أصبحت معقدة أكثر من ذي قبل، ومن قائل بأن الواجبات أكثر من الأوقات..

استمع المحاضر إلى كل هذه الآراء ثم قال: لو كانت هذه هي الأسباب الحقيقية فمعنى ذلك أنه لا أمل في عودة روابط الأخوة الوثيقة من جديد، وأن المسبحة ستنقطع حتمًا، إن عاجلًا أو آجلًا، ولكن لو عدنا إلى الكتاب والسنة سنجد أن

الأخوة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمعنى لم يذكره أحدكم وهو «الإيمان».

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

ويقول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

ولنتذكر جميعًا أن أول ما فعله رسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة: بناء المسجد الذي هو رمزٌ للإيمان، ثم أتبع ذلك بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار؛ فالأخوة قرينة الإيمان، ورافد من روافده، فإن ارتفع الإيمان ارتفعت، وإن انخفض انخفضت، وكما أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كذلك الأخوة تعلو نسبتها في القلوب كلما قمنا بحقوقها، وتنخفض تلك النسبة إن نحن أهملنا رعايتها وفعلنا ما يضادها.

فالحل إذن ينطلق من إيقاظ الإيمان المخدر في قلوبنا والذي إذا استيقظ أعاد مشاعر الأخوة إلى الحياة وغذاها ونماها. أطرق الحاضرون رؤوسهم، ولسان حالهم يقول: صدقت، فليست الأخوة فقط هي التي وهنت بسبب ضعف الإيمان، فهناك مظاهر كثيرة تفشت بيننا بسبب هذا الضعف، وإن لم نسارع إلى تجديد الإيمان وإيقاظه في قلوبنا فسوف تتضخم تلك المظاهر لتصبح أمراضًا مزمنة يصعب علاجها.

وانتهت المحاضرة بعد أن وصلت الرسالة للجميع.

الأمن الداخلي:

أخي الحبيب:

تشكل الأخوة والحب في الله الرباط الذي يربط بين القلوب، فتتصل من خلاله وتتوحد لتصبح صفًا قويًا، غير قابل للتآكل أو الاستئصال.. من هنا كان رباط الأخوة هو أفضل وسيلة لتحقيق الأمن الداخلي للدعوة.

فحافظ- أخي- على هذا الرباط، وأحذر من أن يضعف؛ فبضعفه تضعف الثقة بين المؤمنين، وتزداد المشكلات ومن ثم يضعف البنيان، ويتأخر تحقيق الحلم.

وهذه بعض النصائح التي من شأنها أن تقوى رباط الأخوة أخاطب بها نفسي- من خلال توجهي بالحديث إليك أخي الداعية:

* الأخوة قرينة الإيمان فكلما زاد الإيمان زاد مستوى الأخوة.. تأمل حال الأنصار الذين تمكن الإيمان من قلوبهم، وكأنهم داخلوا هم بكليتهم في الإيمان.. هؤلاء الأطهار عندما وصلوا لهذا المستوى الإيماني العالي انعكس ذلك على أخوّتهم لإخوانهم المهاجرين فأصبحوا يؤثرونهم على أنفسهم مع شدة حاجتهم لما يؤثرونهم به، ولا يجدون في صدروهم أي حرج أو غضاضة من أن يأخذ المهاجرون ما لم يأخذوه هم من الغنائم ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ [الحشر: ٩].

* وكما أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فكذلك الأخوة تزيدها أعمال إيجابية وتنقصها أعمال سلبية، فلا يكفى أن تقول لأخيك: إني أحبك في الله.. بل لابد من القيام بأعمال تؤكد ذلك من تزاور وتكافل وتهاد ومساعدة في قضاء الحوائج و..... إلخ.

أخي:

- لا تكن عونًا للشيطان على أخيك، ولا تترك شيئًا في صدرك تجاهه، فإما أن تمحو من نفسك ما تجده من أخيك، أو تسارع بالذهاب إليه لمصارحته وسماع رأيه.
- إذا جمعك مع أخيك عمل دنيوي فكن سببًا رئيسًا في نجاح العمل، لاسيما إن

كان أخوك هو صاحبه، ولا تنتظر منه معاملة خاصة يميزك بها عن الآخرين، ولا تغضب إذا ما طبق عليك قوانين العمل حال تقصيرك، ولا تجعل ما بينكما من أخوة ذريعة للتهاون والتراخي أو عدم الالتزام بضوابط العمل.

- إياك من أن تترك النصح لأخيك إذا ما رأيته بحاجة إليه؛ فالأخ الصادق في أخوته هو الذي يحرص على أخيه ويخاف عليه من الوقوع في أي شبهة أو مخالفة، ولا يكن خوفك من ضيق أخيك مبررًا لعدم نصيحته، فكما قال ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»[1].. ونصرة أخيك وهو ظالم بأن تجعله يكف عن ظلمه.
- لا تنقل عن أخيك إلا كل طيب، ولا تتحدث عنه بسوء في غيابه، واعلم أن كل كلمة تقولها عن ستصله يومًا ما؛ فمحيطنا ضيق.

أخي الداعية:

قد ترى فيمن حولك من إخوانك من يبذل مجهدًا كبيرًا، ومن يلازمه التوفيق والنجاح في عمله، فاغبطه وحاول منافسته، وادع له بالثبات ومزيد التوفيق، وإياك أن تحسده أو تتمنى عدم توفيقه.. إياك أن تفرح بفشله أو تحزن لنجاحه، فهذا إن حدث من شأنه أن يمحق البركة، ويضعف رباط الأخوة، ويبعد صاحبه عن مظان التوفيق الإلهي.

أخي:

أحذر نفسي وإياك من كثرة الجدل والاعتداد بالرأي، وعدم قبول رأي الآخرين، أو تسفيهه أو الانتقاص من صاحبه.

نعم، قد نختلف ولكن من أجل الوصول إلى الحق.

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم (٢٢٦٣).

نعم، قد نختلف ولكن لا ينبغي أن تختلف قلوبنا.

وليس معنى ذلك ألا تتكلم أو تناقش أو تبدي وجهة نظرك، بل ناقش، وناقش.. ولكن التزم بالرأي النهائي، وإياك أن يتغير قلبك على من خالفك في الرأي، فالأخوة وسلامة الصدر هما صمام أمننا.

***

الصورة العاشرة

الظلـــــــم

الظلم من أخطر الصور المرفوضة التي ينبغي عليَّ وعليك- أخي الداعية- أن نتجنبها، فما أخطر الظلم علينا وعلى مشروعنا العظيم.. ألم يقل سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا..**»[1]؟!

وصور الظلم التي أحذر نفسي وإياك منها كثيرة، فعلى سبيل المثال:

عدم موضوعية التقييم:

والمقصد من ذلك أن يتأثر تقييمك للأشخاص بما تحمله في نفسك تجاههم، على معنى أنك وقت رضاك عنهم ترفعهم فوق ما يستحقون، وفي وقت ضيقك أو غضبك منهم تنزلهم إلى أدنى الدرجات، فيتمثل فيك قول الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

وبين النظر بعين الرضا وعين السخط عليك- أخي- أن تنظر بعين العدل والإنصاف؛ وحسبنا في ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا**﴾ [المائدة: ٨].

ولعلك تذكر أن عمر بن الخطاب قد عزل خالدًا بن الوليد- رضي الله عنهما- عن قيادة جيش المسلمين وولى مكانه أبا عبيدة بن الجراح ﷺ فماذا كان يقول خالد بن الوليد بعد ذلك عن عمر بن الخطاب؟! هل تغيرت صورته عنده بعدما فعل ما

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

فعل؟!

يقول- رحمه الله- في أواخر حياته لأبي الدرداء ﷺ: والله يا أبا الدرداء لئن مات عمر، لترين أمورًا تنكرها[١].

بل إنه ﷺ أوصى بأن يكون عمر بن الخطاب هو الذي يقوم بتنفيذ وصيته بعد موته[٢].

الصورة القديمة وظلها الدائم:

ومن أشكال الظلم: أن تظل الصورة القديمة لأخيك ماثلة أمام عينيك مكونة ظلاً دائمًا له، مهما تغير وتحسن، وقديمًا حاول فرعون تذكير موسى عليه السلام بماضيه، والعمل على ربطه به وتقييمه من خلال صورته القديمة عنده ﴿**قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۞ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ [الشعراء: ١٨- ١٩].

فلم ينفِ موسى عليه السلام التهمة عن نفسه، بل نبَّه فرعون إلى التغيير الذي حدث له، ووضعه الجديد الذي أكرمه الله به: ﴿**قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۞ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الشعراء: ٢٠- ٢١].

ترك النصيحة:

ومن صور ظلمك لإخوانك: ترك نصيحتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.. خوفًا أو حياء أو مراعاة لعدم جرح مشاعرهم.

نعم، علينا أن نتحرى آداب النصيحة والنقد، ولكن لا نتركها بالكلية كما فعل بنو إسرائيل فحل عليهم الغضب من الله ﴿**كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ**

(١) سير أعلام النبلاء الذهبي (١/ ٣٨٢).
(٢) المصدر السابق.

﴿مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩].

كان حذيفة بن اليمان ﷺ يقول: دخلت على عمر بن الخطاب ﷺ فرأيته مهمومًا حزينًا، فقلت: ما يهمك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أخاف أن أقع في منكر فلا ينهاني عنه أحد منكم تعظيمًا لي. فقلت: والله لو رأيناك خرجت عن الحق لنهيناك، فإن لم تنته ضربناك بالسيف. ففرح عمر وقال: الحمد لله الذي جعل لي أصحابًا يقوموني إذا أعوججت[١].

وكتب طاوس إلى مكحول- رحمهما الله تعالى- يقول له، بعد السلام: احذر يا أخي أن تظن نفسك أن لك مقامًا عظيمًا عند الله تعالى مهما ظهر لك من أعمالك، فإن من ظن بنفسه ذلك انقلب إلى الآخرة صفر اليدين من الخير، وربما عظمك الناس بسبب أعمالك الصالحة، فاستعجلت ثوابها بذلك[٢].

الأحكام المتسرعة:

ومن صور الظلم كذلك: التسرع في إصدار الحكم على أخيك في غيابه، دون سماع رأيه، والاكتفاء بما يبلغك عنه من أقوال أو أفعال غير مرضية نسبت إليه، فلعله لم يفعل ذلك.. أو لعله فعله تحقيقًا لمصلحة ما، أو قد يكون قد وقع ساعتها تحت ضغط أو إكراه، ولعله.. ولعله..

إذًا لابد من التبين أولاً قبل أي شيء آخر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

إياك- أخي الداعية- أن تتلقى الأخبار التي تنتقص من أخيك فتصدقها، وتنقلها إلى الآخرين بلسانك، دون ترو، أو إمعان، أو تبيُّن للحق، وتذكر توجيهات

(١) تنبيه المغتربين للشعراني ص ٢٣٧- دار المعرفة- بيروت.
(٢) المصدر السابق ٢٢٢.

الله ﷻ للمؤمنين ﴿يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٥- ١٦].

غمط حق أخيك:

وهناك أيضًا شكل من أشكال الظلم أحذر نفسي وإياك منه، وهو: الغيرة غير المحمودة من أخيك الذي وهبه الله إمكانات لم يهبها لك، فتعمل على حجبه عن الآخرين، وحرمان الدعوة من إمكاناته، أو الانتفاص الدائم من قدره، والتشكيك في قدراته.

فإن فعلت ذلك فقد ظلمت نفسك، وظلمت أخاك، وظلمت الدعوة، واعلم ان مثقال الذرة من الكبر يحرم من دخول الجنة، والكبر- كما عرفه الرسول ﷺ **هو بطر الحق وغمط الناس**[1].

ومما يلحق بهذا الباب أيضًا أن يتحول خلاف أخيك معك في وجهات النظر، وعدم تطابق رأيه مع رأيك إلى حجبه، وإهالة التراب عليه، وعدم إعطائه مساحة يتحرك فيها.

إياك أن تفعل ذلك، واعلم أن نجاح أخيك ونموه من خلالك يعد بمثابة نجاح لك، وصدقة جارية تجنى ثمارها في الدنيا قبل الآخرة.

المحاباة وعدم إقامة الحق:

ومن أخطر صور الظلم: محاباة أخيك على غيره من إخوانك المسلمين، وإيثاره بما لا يستحق ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

وعن عائشة- رضي الله عنها- أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي

(١) صحيح، رواه أبو داود والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٠٨).

سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ: «**أتشفع في حد من حدود الله تعالى؟**» ثم قام فاختطب ثم قال: «**إنما هلك الذين من قبلكم؛ أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»[(١)].

وأخرج البيهقي عن جرير أن رجلًا كان مع أبي موسى ﷺ فغنموا مغنمًا، فأعطاه أبو موسى نصيبه ولم يوفه، فأبى أن يأخذه إلا جميعه، فضرب به أبو موسى عشرين سوطًا وحلق رأسه، فجمع شعره، وذهب به إلى عمر ﷺ، فأخرج شعرًا من جيبه فضرب به صدر عمر. قال: ما لك؟ فذكر قصته.

فكتب عمر إلى أبى موسى: «سلام عليك، أما بعد، فإن فلانًا بن فلان أخبرني بكذا وكذا، وإني أقسم عليك إن كنت فعلت ما فعلت في ملأ من الناس جلست له في ملأ فاقتص منك، وإن كنت فعلت ما فعلت في خلاء فاقعد له في خلاء فليقتص منك».

فلما دُفع إليه الكتاب قعد للقصاص. فقال الرجل: قد عفوت عنه لله[(٢)].

مع الدعوة:

هذه أخي الحبيب بعض صور الظلم التي ينبغي أن نتحاشاها جميعًا في تعاملاتنا مع بعضنا البعض، أما مع الدعوة فهناك أيضًا صور أحذر نفسي وإياك من الوقوع فيها.. ومن ذلك: أن يكون تفكيرك فيما ستأخذه من الدعوة لا فيما ستعطيه لها، فتتباطأ في أداء التزاماتك تجاهها، بينما تسارع في الانتفاع بخدماتها، وتذكّر أن صحابة الحبيب ﷺ كانوا يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع.

---

(١) متفق عليه.

(٢) حياة الصحابة للكاندهلوى ١/ ٥٣١ – دار صادر – بيروت.

ومنها: أن تلقى باللائمة على الدعوة كلما حدثت لك مشكلة في بيتك أو عملك.. إياك أن تكون ممن يريد من الدعوة أن تربى له أبناءه، وتجد له وظيفة مناسبة، وتساعده كلما احتاج و...، فإن لم يحدث اشتد نقده وتجريحه للقائمين عليها.

ومنها: أن تمنّ على الدعوة بما تقدمه من تضحيات سواء كان ذلك على صورة وقت أو جهد أو مال.

ومن صور ظلم الدعوة كذلك أن تأخذ منها شيئًا ليس من حقك، أو أن تستفيد بمواردها لغير الأغراض المخصصة لها أو تهدر أموالها، أو تضعها في غير موضعها.

كان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاح الفيء، فتناول ابن له صغير تفاحة، فانتزعها من فيه، فأوجعه، فسعى إلى أمه مستعبرًا، فأرسلت إلى السوق، فاشترت له تفاحًا، فلما رجع عمر وجد ريح التفاح، فقال: يا فاطمة! هل أتيت شيئًا من هذا الفيء؟ قالت: لا، وقصت عليه القصة. فقال: والله، لقد انتزعتها من ابني، لكأنما انتزعتها من قلبي، لكني كرهت أن أضيع نفسي من الله ﷻ، بتفاحة من فيء المسلمين[1].

***

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٢١٢- دار ومكتبة الهلال- بيروت.

الصورة الحادية عشر

الحســـــــــد

صلى الشيخ العصر بالناس ثم جلس يذكر الله، وفي تلك الأثناء بدأ بعض المصلين يتوافدون عليه ويلتفون حوله ليستفتوه ويطلبوا مشورته، وكان من بينهم شاب في أواخر العشرينات ظل يؤخر نفسه حتى فرغ الشيخ من أسئلة الحاضرين وانصرفوا جميعا، فتقدم هذا الشاب للشيخ وقال له: أرجو منك يا شيخنا أن تفسح لي من وقتك الثمين بضع دقائق أقص فيهم قصتي وأعرض مشكلتي التي أرقتني فلم أذق طعم النوم منذ البارحة..

فقال الشيخ: هات ما عندك.

بدأ الشاب بالحديث قائلا: منذ عدة سنوات شرح الله صدري للإيمان والالتزام بأوامر الدين، وبدأت أواظب على الصلاة في المسجد، وبمرور الأيام ازداد ارتباطي به، وقد تعرفت فيه على بعض الشباب الصالح، ونشأت بيننا عاطفة الحب في الله، وتوثقت رابطتها في قلوبنا..

كنا نجلس يوميا بعد صلاة المغرب نقرأ القرآن ونتدارسه، وفي يوم من الأيام جلس معنا أحد المصلين، وظل منصتًا لحديثنا، إلى أن حدث خلاف بيننا حول حكم من الأحكام الفقهية فاستأذن للحديث، وانطلق يشرح الحكم وآراء الفقهاء فيه وذلك بأسلوب سهل وشيق ملك عقولنا وقلوبنا، فطلبنا منه أن يستمر في حضور جلستنا، وأن يتولى إدارتها ويساعدنا في التعرف على أحكام ديننا، فوافق على طلبنا، وبدأنا نتدارس معه بعض كتب العلم.

استمر هذا الأمر عدة أشهر بدأت أشعر خلالها برغبة جارفة نحو الاستزادة من العلم الشرعي فكنت أسأله عن مراجع أوسع وأكبر مما يُدرِّسه لنا، وكان يرشدني إلى بعضها فأشتريه أو أستعيره منه.

وبمرور الأيام ازداد نهمي للتعرف على أحكام الدين وفروع العلم، وكلما سمعت عن درس علم أسارع بالذهاب إليه والاجتهاد في الانتفاع منه، وشيئًا فشيئًا ظهرت آثار ما أكرمني الله به من علم على كلامي مع إخواني بالمسجد، وفي جلساتنا سويا مع أخينا الكبير، فكانت لي -في بعض الأوقات- إضافات وتعقيبات على كلامه، مع الحرص على صبغ أقوالي بصبغة الاحترام والتوقير له.

بعد مدة- ليست بالطويلة- بدأت ألحظ علامات الضيق بادية على وجه هذا الأخ الكبير كلما تكلمت، ثم تطور الأمر بعد ذلك تطورًا سيئًا، فكان يسفه من كلامي ويشكك فيه، ويعمل على إحراجي بين الحاضرين، وكنت أحاول- قدر المستطاع- إحسان الظن به.

ذهبت لزيارته في بيته عدة مرات واجتهدت أثناء هذه الزيارات في إظهار مشاعر الحب والود التي يحملها قلبي تجاهه، ولكن ذلك لم يغير من الأمر شيئًا، بل ازداد الوضع سوءًا فقد بدأت ألحظ تغيرًا في علاقة إخواني الشباب بي، وشعرت وكأنهم يتحاشون الجلوس معي، فذهبت إلى أحدهم في منزله واستحلفته بالله أن يصارحني بالحقيقة، فأخبرني بأن معلمنا قد حذرهم مني، واكتشفت من خلال كلام هذا الصديق أنه كان كثير النقد لي، وكان يناقش معهم الكلام الذي أطرحه في جلستنا المسجدية، فيسفِّه منه، ويجتهد في إقناعهم بأنني كثير الخطأ ولا أصلح للتعلم، واستطرد صديقي قائلًا: ومن كثرة انتقاده لك صدقناه، وبدأنا نشعر بالفتور تجاهك، ولا نحب مجالستك ولا نريد سماع آرائك..

عندما سمعت هذا الكلام- شيخنا- أصابني الذهول، وعدت إلى منزلي وأنا لا

أصدق ما سمعت، وظللت أتقلب على فراشي طيلة الليل وأنا أشعر بضيق شديد في صدري، ولم يغمض لي جفن حتى هذه اللحظة، ولا أكتمك القول- سيدي- بأنني الآن في حالة شديدة من الاضطراب النفسي، ولا أدري ماذا أفعل، ولا كيف سأتعامل معه بعد ذلك، وقبل هذا وذاك: يلح على بقوة تساؤل لا أعرف إجابته: ما السبب الذي دفعه لفعل هذا كله؟!

انتهى الشاب من كلامه ووجَّه نظره للشيخ منتظرا تعليقه واستشارته فوجده في غاية التأثر، وإذا به يهب واقفا ويقول له: حبذا لو أتيتني في الغد بمشيئة الله.

هل نسير إلى الأمام أم نتقهقر للخلف؟!

خرج الشيخ من المسجد والدموع تترقرق في عينيه، وتذكر أنه كان قبل الصلاة قد استمع إلى نشرة إخبارية، وكان فيها أخبار كثيرة عن أحوال المسلمين البيئسة في شتي أنحاء العالم، وكان يطمئن نفسه بأن جيل الصحوة الإسلامية الممتدة في ربوع العالم الإسلامي قادم، وسيعيد للأمة- بإذن الله- مجدها وعزها، ولكنه عندما استمع لكلام الشاب شعر بأن الحلم الذي طال انتظاره قد لا يتحقق في هذه الحقبة من الزمن.

تصاعدت حدة الحوار الداخلي في نفس الشيخ، فتارة يقول: لعل هذا الشاب يبالغ في عرض المشكلة، ولو استمعت إلى الطرف الآخر فقد اكتشف هذه المبالغة وأتعرف على الحقيقة كاملة، ولكنه يجيب على هذه الشبهة فيقول: ولكن ليست هذه هي الحالة الأولى التي أتعرف من خلالها على هذه المشكلة، فلو افترضنا صحة أقوال الشاب؛ فإن التشخيص الصحيح لمشكلته هو: «الحسد».

ولئن كانت تلك الجرثومة قد انتشرت بين العوام فهذا أمر متوقع منهم لضعف إيمانهم وتعلقهم بالدنيا، فالسبب الرئيسي للحسد هو حب الدنيا والرغبة في التميز فيها وكراهية النجاح للآخرين لاسيما إن كانوا يشتركون مع الشخص في رابطة (ما)

كالقرابة أو الدراسة أو العمل أو الجيرة..

ولكن الدعاة والعاملين للإسلام وطلبه العلم من المفترض أن يكونوا أبعد الناس عن ذلك، وكيف لا وهم الذين يعرفون حقيقة الدنيا، وأنها ليست بالشيء الذي يُتحاسد عليه، أما الآخرة فلا مجال للحسد عليها؛ لأنها تسع الجميع، ومن الطبيعي أن يكونوا من طلاب الآخرة وليسوا من طلاب الدنيا.

الأنصار وحب الخير لإخوانهم:

وفي خِضَمِّ هذا الحوار النفسي تذكر الشيخ موقف الأنصار الذين استضافوا إخوانهم المهاجرين في بيوتهم، وظلوا ينفقون عليهم من أموالهم- مع فقرهم وحاجاتهم- ولا يجدون في صدورهم حسدًا للمهاجرين على ما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة كما قال الإمام ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾

[الحشر: ٩].

قصة محزنة

وبعد أن طاف في ذهن الشيخ موقف الأنصار من المهاجرين؛ قفز إلى مخيلته صورة ذلك الداعية الشاب النابه الذي قابله منذ بضع سنوات عندما جاءه بشكوى مماثله للتي استمعها منذ قليل، وتذكر كيف أنه سأل عنه فعلم بتميزه على أقرانه في الفهم والاستيعاب وسعة الاطلاع، وتأكد من صحة شكواه بعد تعرفه على الطريقة التي كان يُعامل بها من بعض أقرانه، وكيف كانوا يتصيدون له الأخطاء، ويسفهون كلامه ويتعمدون إحراجه، وتذكر الشيخ محاولاته المتكررة معهم ليكفوا عن تلك الأفعال، وتذكر كيف كانوا يحاولون إقناعه بأنهم لا يريدون له إلا الخير، وأنهم لا يحملون في صدورهم تجاهه إلا الحب والود والتقدير، وأنهم يريدون مصلحته، لكنه

شاب متسرع يحاول إظهار تميزه عنهم، مع أنهم قد سبقوه في مضمار العلم والدعوة بسنوات طويلة و..... ومن خلال حديثهم المتكرر معه عن هذا الداعية النابه؛ أدرك الشيخ صعوبة حل تلك المشكلة لأن لها أبعادًا نفسية تنطلق من حسدهم له، واستكثارهم عليه ما حباه الله من إمكانات وما أفاض عليه من علم.

وتذكر الشيخ نصيحته لهذا الداعية الشاب بالصبر عليهم، وحسن معاملتهم والدعاء لهم، ومقابلة إساءتهم بالإحسان، وتذكر كذلك يوم أن جاءه باكيا ليخبره بأنه قد عزم على ترك المكان والسفر لبلد آخر لعدم استطاعته تحمل ما يحدث منهم أو التعامل معهم بعد أن أذاعوا وسط العوام أنه رجل مغرور، يحب الظهور، ولا يحترم من سبقوه، وأن له آراءً شاذة وأفكارًا متطرفة و...

ابن تيمية والحسد

عاد الشيخ إلى منزله والألم يعتصره، ودخل غرفة مكتبته، وأغلق بابها، وانخرط في بكاء شديد وهو يحدث نفسه ويقول: ما علاج هذه الجرثومة الفتاكة التي تحرمنا من كفاءات كثيرة، وتضعف روابط الأخوة بيننا، وتبعدنا عن طريق النصر والتمكين، وتستدعي غضب الله علينا؟!

وبعد أن هدأت نفسه تجوَّل يعينه في مكتبته، فاسترعى انتباهه كتاب شعر وكأنه لم يقرأه من قبل عن «استمرارية الدعوة»[1]، فتناوله ونظر في موضوعاته فوجدها تتحدث عن نماذج للدعاة في القرون الثمانية الأخيرة، فبدأ يقلب صفحات الكتاب إلى أن وصل إلى حديث الكاتب عن الإمام ابن تيمية، وخلال قراءته لسيرته انهمرت الدموع من عينيه مرة أخرى، فلقد فوجئ بما حدث للإمام وما أصابه من ابتلاءات متنوعة من سجن ونفي وإيقاف، كل ذلك بسبب حسد العلماء له لتميزه

(١) للدكتور محمد السيد الوكيل رحمه الله.

وسعة علمه وجرأته في الحق، وبدلا من أن يراجعوا أنفسهم ويستفيدوا من علمه، انطلقوا يكيلون له الاتهامات ويألبون عليه الحكام حتى أقنعوهم بضرورة منعه من التدريس، ومعاقبته بالحبس، فسُجن عدة مرات، ومات- رحمه الله- في سجن القلعة بدمشق.

وفي أثناء قراءة الشيخ لسيرة الإمام ابن تيمية كانت مشاعره تهتز ودموعه تنساب على وجنيته، وكان مما قرأه:

(منذ ظهرت جماعة المعارضين للشيخ، وهو في محنة مستمرة، فقد كان يخرج من المعتقل ليزج به في السجن، وكان يفرج عنه من السجن ليحبس في بئر، وهكذا كانت حياة شيخ الإسلام- رحمه الله- ولم يكتف حُسَّاده وشانئوه بتدبير المؤامرات له ليلقوه في المعتقل أو السجن، ولكنهم كانوا يثيرون عليه الفسقة والغوغائيين ليتحرشوا به في الطريق حتى اعتدوا عليه بالضرب) [1].

ابن تيمية في مصر

(قدم ابن تيمية إلى مصر في المرة الأولى مبعوثا من الأمراء والشعب إلى السلطان ليحثه على الجهاد، ويطلب منه حماية البلاد، وقد وفق في بعثته- رحمه الله- وحضر السلطان وجنوده إلى الشام ونصرهم الله على التتار.

أما في المرة الثانية فقد كان الشيخ مطلوبا لدي السلطان متهمًا نتيجة مؤامرة من بعض حاسديه الذين أزعجهم ما حاز عليه الشيخ من إعجاب الناس بعلمه وجرأته وشجاعته في الحق.

وكانت المؤامرة من تدبير أحد العلماء هو الشيخ نصر المنبجي الذي كان

(١) استمرارية الدعوة لمحمد السيد الوكيل ص ٤٢- دار المجتمع- جدة- نقلًا عن رجال الفكر والدعوة الندوي.

معجبا بالشيخ محيي الدين بن عربي، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قد فندَّ كثيرا من أقوال ابن عربي وبيَّن خطأه فيها، فكان ذلك يغيظ الشيخ نصر ويضايقه، وكان للشيخ نصر صلة قوية بنائب السلطان في مصر، وكان له تأثير كبير عليه، حتى كان يرى رأي شيخه المنبجي في ابن يتمية.

وعقدت له جلسة المحاكمة بالقلعة، وحضر الجلسة القضاة ورجال الدولة، وكان خصمه الشمس ابن عدنان، والقاضي ابن مخلوف المالكي، والتهم الموجهة إليه: خلل في العقدية، وخطأ في مسائل كلامية.

وأراد الشيخ أن يتكلم فحيل بينه وبين الكلام، وسأله القاضي أن يجيب عما وجه إليه، فبدأ بحمد الله والثناء عليه، فقاطعوه وقالوا له: أجب ما جئنا بك لتخطب.

لم يعبأ الشيخ بما وجه إليه، وقال في شجاعة: ومن الحاكم فيَّ؟

فقيل له: القاضي ابن مخلوف المالكي.

فتوجه الشيخ نحو القاضي وقال له: كيف تحكم فيَّ وأنت خصمي؟

فغضب القاضي غضبًا شديدًا، وأصدر حكمه عليه بالحبس، وحُمل الشيخ إلى الحبس دون محاكمة، وحُبس في برج أياما، ثم نقل منه ليلة العيد إلى الحبس المعروف بالجب)[1].

(ومضى في الحبس قرابة العام ونصف وخرج بعد توسط بعض الأمراء والقضاة المحبين للشيخ، وواصل التدريس في مصر عدة شهور والتف الناس حوله ولكن هذا لم يعجب حساده وبخاصة أنه كان يصدع بالحق ويُبَيِّن ضلال أهل عقيدة

(١) المصدر السابق.

الاتحاد والحلول[١]، فذهب جماعة من الصوفية إلى السلطان يشكون ابن تيمية فأمر بتشكيل محكمة تعقد جلساتها بدار العدل، وتحقق في الأمر.

انعقدت الجلسة، وحضر ابن تيمية، وتولى الدفاع عن آرائه فأسكت الجميع بحججه القوية، وبراهينه الساطعة.

وكانت التهمة الموجهة للشيخ أنه يقول جهارًا: لا يستغاث إلا بالله، والاستغاثة بغير الله حتى ولو بالأنبياء لا تجوز.

وعرضت التهمة على العلماء، فقالوا: ليس عليه في هذه شيء، وقال القاضي: إن هذا فيه قلة أدب، أما أن يؤدي هذا إلى الكفر، فلم يقل به أحد.. لم يعد للشكوى أي أثر بعد أن قال العلماء فيه ما يبرئ ساحة ابن تيمية، ولكن الضجة لا تزال قائمة، وأرادت الحكومة القضاء على ما يثير غضب الناس، فأحضرت ابن تيمية وخيرته بين ثلاثة أمور: إما إن يسير إلى دمشق، أو يقيم في الإسكندرية بشروط يستوفيها، أو يختار الحبس، ولم يتردد ابن تيمية في اختيار الحبس واستمر فيه قرابة العام، ثم سافر بعد ذلك إلى دمشق واستمرت المؤامرات ضده كلما أفتى بفتوى تغضب أصحاب الأهواء، وعقدت له محاكمة بسبب فتواه في مسألة الطلاق وحبس في القلعة قرابة الستة أشهر ثم أفرج عنه بعد ذلك واستمر في التدريس والإفتاء، وكان رحمه الله قد أفتي منذ فترة طويلة بأنه لا يجوز شد الرحال لزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، وكأن حاسديه لما فشلوا في التأليب عليه، عمدوا إلى هذه الفتوى فاستخرجوها ليثيروا بها عواطف الناس، ولقد أثارت الفتوى ضجة عنيفة أجبرت الحكومة على إصدار مرسوم بحبسه بالقلعة، وفي هذا الحبس مرض ابن تيمية، فزاره نائب السلطان وأخذ يعتذر له ويسأله العفو فأجابه ابن تيمية: إني قد أحللتك

(١) مذهب الاتحاد يقول: إن الله وجميع مخلوقاته شيء واحد، فهم على هذا يعبدون كل شيء ويستحلون كل شيء، وأما مذهب الحلول فأهله يرون أن الله حل في كل من مخلوقاته.. تعالى الله علوًّا كبيرًا

وجميع من عاداني وهو لا يعلم أني على الحق، وأحللت السلطان الملك الناصر (سلطان مصر والشام) من حبسه إياي لكونه فعل ذلك مقلدًا معذورًا ولم يفعله لحظ نفسه، وقد أحللت كل أحد مما بيني وبينه إلا من كان عدوا لله ورسوله ﷺ.

واستمر به المرض حتى وافاه أجله في ليلة ٢٢ من شهر ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ[(١)].

وقد نعي ابن تيمية- رحمه الله رحمة واسعة- على المنارات والأبراج، وفُجع الناس بهذا الخطب الجلل، وفتحت أبواب القلعة، وأتي الناس من كل حدب وصوب يزورونه ويقبِّلون رأسه وجبهته..

وصلِّي عليه أولًا بالقلعة، ثم بالجامع الأموي، فصُلى عليه بعد صلاة الظهر، وقد ازدحم الناس ازدحاما شديدًا، وصلِّي عليه صلاة الغائب في غالب بلاد الإسلام القريبة والبعيدة، حتى في اليمن والصين، وأخبر المسافرون بأنه نودي بأقصى الصين للصلاة عليه يوم جمعة، وأُعلن: (الصلاة على ترجمان القرآن)[(٢)].

ماذا أقول للشاب؟:

بعد أن فرغ الشيخ من قراءة سيرة الإمام ابن تيمية وهدأت نفسه، وجفت دموعه، عاد مرة أخرى للتفكير في أمر الشاب الذي جاءه يطلب رأيه ونصيحته، فقال في نفسه: هل أقول له كما قلت لمن قبله: اصبر واحتسب، وقابل الإساءة بالإحسان، واجتهد في إساءة الظن بنفسك وفتش عن عيوبك وانشغل بإصلاحها، ولكن هذا يحتاج منه إلى قوة نفسية عظيمة وبخاصة أن الطرف الآخر لن يتركه، بل من المتوقع أن يستمر في التصعيد ضده، أم أقول له: اترك هذا المسجد، واذهب إلى

(١) كان آخر ما قرأه- رحمه الله- من القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤- ٥٥].

(٢) استمرارية الدعوة نقل عن رجال الفكر والدعوة.

مسجد آخر وتجنب الاحتكاك بهذا الشخص واطوِ صفحته تماما؟! ولكننا بذلك نبني السدود ولا نجفف المنابع؛ بمعني أننا لا نحل المشكلة من جذورها بل نكتفي بعلاجها بالمسكنات بإبعاد كل طرف عن الآخر، وهذا ليس حلًا يفيد الأمة المحطمة والتي تنتظر من يأخذ بيدها للتغيير- بإذن الله.

وارتفع صوت الشيخ قائلا:

إن كان هذا هو حال بعض الدعاة وأهل العلم والعاملين للإسلام، فكيف يرجى منهم أن يحملوا لواء التغيير وهم لم ينجحوا فيه مع أنفسهم؟! لابد من مواجهة هذا المرض ومحاصرته، والقضاء عليه بإذن الله.

العلاج العام والخاص للحسد:

بدأ الشيخ في تدوين خواطره حول سُبل العلاج لهذا المرض القلبي الخطير، وتذكر أن السبب الرئيسي- الذي جعل الأنصار يحبون إخوانهم المهاجرين، ولا يحسدونهم على فضل الله عليهم هو الإيمان كما أوردت الآية: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ [الحشر: ٩]. وتذكر الشيخ قوله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان والحسد**»(١).

فالعلاج العام الأكيد للتخلص من أمراض القلوب- ومنها الحسد- هو الزيادة الحقيقية للإيمان.

ومع هذا العلاج العام يأتي العلاج الخاص الحسد من خلال إفساح مساحة معتبرة في منظومة الدعوة والتربية للتنبيه إلى خطورته وضرورة مقاومته، والقيام

(١) صحيح الجامع الصغير (٧٦٢٠).

بالأعمال المضادة له.

وتذكر الشيخ وهو يدوِّن خواطره حول علاج الحسد أنه قد قرأ بحثا عن الحسد بين الدعاة للدكتور عبد الكريم زيدان[١]، وذلك في تعقيبه على قصة ابني آدم، فعاد إلى مكتبته وتناول الكتاب وأعاد قراءة البحث القيم والذي انتهي بوسائل عملية لعلاج الحسد عند الحاسد، فأخذ يدونها، فكان مما تضمنته.

(ومن سبل العلاج المهمة للحسد أن يقوم المسلم بالأعمال المضادة لموجبات الحسد التي يزينها له الشيطان، فإذا فعل ذلك واستمر عليه شفي إن شاء الله تعالى من داء الحسد. فمن هذه الأعمال المضادة، أن يدعو للمحسود، فإن كان حسده له بسبب نعمة المال، دعا الله له بأن يزيد ماله، وأن يوفقه للقيام بشكره كأن يقول: اللهم وسع رزقه، وزد ماله، ووفقه للقيام بشكر ما أنعمت عليه من مال، وأن تجعله وماله كما جاء في الحديث النبوي الشريف «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»[٢]. وإن كان حسده لعلمه فإنه يدعو له بزيادة العلم النافع، وبأن يوفقه إلى العمل بما علم، وينفع بعلمه المسلمين ويؤجره عليه. بل عليه أن لا يقف عند حد الدعاء، وإنما يقوم بالأعمال المضادة لموجبات الحسد، فإن حمله الحسد على ذمه وتحقيره وتنقيص قدره، كلف الحاسد لسانه المدح له وإظهار مآثره وفضله، وإن حمله الحسد على التكبر عليه، كلف نفسه التواضع له، وإن حمله الحسد على قطع أسباب الخير والعون له كلف نفسه السعي في إيصال الخيرات إليه، فإذا عرف المحسود ذلك من الحاسد طاب قلبه وأحب الحاسد، وذلك يفضي آخر الأمر إلى زوال الحسد من وجهين:

الأول: أن المحسود إذا أحب الحاسد فعل ما يحبه الحاسد فحينئذ يصير

(١) هذا البحث ضمن كتاب المستفاد من قصص القرآن.
(٢) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث عمرو بن العاص بسند جيد.

الحاسد محبًا للمحسود، ويزول الحسد حينئذ إن شاء الله.

والثاني: أن الحاسد إذا أتي بضد موجبات الحسد على وجه التكلف يصير ذلك فيما بعد طبعًا وسجية، فيزول الحسد عنه[1].

ضرورة إفراد مساحة معتبره في برامج التربية لأمراض القلوب:

وبعد أن فرغ الشيخ من تدوين ما أفاض الله به عليه من أفكار حول موضوع الحسد، بدأت الخواطر تتزاحم على عقله حول أمراض القلوب وخطورتها على الدعاة وأهل العلم والعاملين للإسلام، وكيف أنها لا تأخذ المساحة الكافية من برامج التربية، وشعر بأهمية التركيز عليها واعتبارها من أولويات العمل الدعوى التربوي، وشعر كذلك بأن تقوية الإيمان- بشكل عام- له وظيفة كبيرة في الحد من هذه الأمراض وتقليل آثارها، وعزم الشيخ على تبني هذه القضية مع نفسه أولا، ثم مع إخوانه العلماء والدعاة ثانيا، وذلك بدوام زيارتهم وإشعارهم بخطورة هذه الأمراض على جيل الصحوة الإسلامية، وخطورتها كذلك على مستقبل الأمة، وعزم أيضا على ا لاجتهاد في استنهاض هممهم حتى يبدءوا بأنفسهم- وهو معهم- لسلوك طريق العلاج، ثم الانطلاق بعد ذلك في دوائر عملهم الدعوى والتربوي ليأخذوا بأيدي إخوانهم إلى طريق العلاج الذي سلكوه مستعينين بالله ومتوكلين عليه.

ارتاحت نفس الشيخ بعد أن وفقه الله ﷻ لهذا التصور، واستشعر ثقل المسئولية الملقاة على عاتقه، لكنه قال لنفسه: إلى متي سنظل نبكي على اللبن المسكوب؟! لابد من مواجهة هذا الخطر الداهم مهما كانت التضحيات.

***

(١) المستفاد من قصص القرآن لعبد الكريم زيدان ١/ ١٢٨ مؤسسة الرسالة نقلا عن تفسير الرازي.

كلمة أخيرة

فهذه- أخي الحبيب- بعض الصور المرفوضة التي أحذر نفسي وإياك من الوقوع فيها، وهي -كما ترى- على سبيل المثال وليست على سبيل الحصر، واللبيب تكفيه الإشارة.

ولعلك توافقني أن الدافع الأساسي الذي سيدفعنا بمشيئة الله لاجتناب الوقوع في تلك الصور هو وضوح الرؤية لطبيعة مهمتنا التي انتدبنا الله إليها، واستشعارنا الدائم بأننا نقوم بعمل جليل يستدعي منا شدة الانتباه والتشمير والجد والاجتهاد للوصول إلى هدفنا العظيم في الدنيا، وإلى رضا الله وجنته في الآخرة.

ولعل ما قيل في الصفحات السابقة من شأنه أن يزيد انتباهنا، ويحذرنا من التهاون والتكاسل حتى لا نكون سببًا في تأخر تحقيق الحلم ونزول النصر.

وكذلك فإن تقوية الإيمان في قلوبنا، والوصول بها إلى مرحلة اليقظة والانتباه- بإذن الله- له وظيفة كبيرة في الحد من ظهور تلك الصور..

وأخيرًا

فهذه كلمات خاطبت بها نفسي، من خلال توجهي بالحديث إليك أخي

الداعية.. نفعني الله وإياك بما فيها من خير، وجمعنا في عليين إخوانا على سرر متقابلين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

* * *

الفهرس

المقدمـــــــة ٣

هذا هو قَدَرُك

شرف الاختيار ٥
اربأ بنفسك ٦
الأمل في الله وحده ٦
الأيدي العاملة قليلة ٧
فماذا عساك أن تفعل؟! ٧
احذر الاستبدال ٨

تذكّر هذه الحقائق

النصر والتمكين بيد الله ١٠
جهد البشر ١٠
وإن لم نفعل! ١١

احذر هذه الصور

علو المنزلة يستوجب شدة الانتباه ١٢

الصورة الأولى: جفاء العلاقة مع الله ﷻ ١٥
الصورة الثانية: هجر الطاعات ١٨
من صور هجر الطاعات ١٨
هجر المساجد والتأخر عن أداء الصلاة في أول وقتها ١٩
هجر صلاة الفجر في المسجد ١٩
هجر قيام الليل ٢٠
هجر القرآن ٢١
من وصايا العلماء للانتفاع بالقرآن ٢٢
هجر النوافل والسنن ٢٣
دفع شبهة ٢٣
الصورة الثالثة: أنا وأخواتها ٢٧
ضرورة استصغار النفس ٢٨
العُجب أخطر الذنوب ٢٩
هكذا كان أسلافنا ٣٠
الدواء المضاد ٣١
الصورة الرابعة: العزة الزائفة ٣٣
مفهوم العزة ٣٣
الذلة طريق العزة ٣٥
نِعْم العبد محمد ٣٦
خطورة العزة الزائفة ٣٧
من صور العزة الزائفة ٣٨
العزة الزائفة والداعية ٤٠

الفرق بين التواضع والمهانة ٤٢
الصورة الخامسة : التعلق بالدنيا والانشغال بها ٤٣
هل نترك الدنيا؟ ٤٤
الأعباء كثيرة ٤٥
الصورة السادسة : الترخص والتساهل والوقوع في دائرة الشبهات ٤٨
فكيف هي أفعالي وأفعالك؟! ٤٨
حتى لا تكون فتنة ٤٩
لنتق الله في ديننا ٥٠
الدين المعاملة ٥١
الذنوب سبب البلاء ٥٢
الصورة السابعة : عدم بذل الجهد في سبيل الله ٥٤
إمكاناتي محدودة ٥٥
الجائزة ٥٦
الحرقة المطلوبة ٥٧
الفشل الذريع ٥٨
هيا انهض ٦٠
الصورة الثامنة : إهمال البيت ٦١
لماذا نضحي؟! ٦٢
مراحل بناء المشروع الإسلامي ٦٣
الصورة التاسعة : ضعف روابط الأخوة ٦٦
ما السبب؟ ٦٧
الأمن الداخلي ٦٨

الصورة العاشرة: الظلـــــــم ٧٢
الصورة القديمة وظلها الدائم ٧٣
ترك النصيحة ٧٣
الأحكام المتسرعة ٧٤
غمط حق أخيك ٧٥
المحاباة وعدم إقامة الحق ٧٥
الصورة الحادية عشر: الحسد ٨٧
الأنصار وحب الخير لإخوانهم ٨١
قصة محزنة ٨١
ابن تيمية والحسد ٨٢
ماذا أقول للشاب؟ ٨٦
وارتفع صوت الشيخ قائلا ٨٧
العلاج العام والخاص للحسد ٨٧
كلمة أخيرة ٩٠
الفهرس ٩٢

* * *